قطار الجنة

د. حنان لاشين

قطار الجنة

الفهرس

خريطة الكنز ٦

ساعة محمود ٤٠

مهند وكوكي ٧٠

فانوس ملك ١٠٨

عبد المؤمن يفكر ١٤٠

قطار الجنة ١٧٠

أصحاب حمزة ٢١٢

خريطة الكنز

وأخيرًا بدأت إجازة الصيف، كان «يوسف» سعيدًا جدًا، وكذلك كان شقيقه «عبد الرحمن»، فقد تعبا كثيرًا خلال فترة الامتحانات، وكلاهما يحتاج لفترة راحة طويلة.

قررت أمهما أن تكون الإجازة مميزة هذا العام، وضعت جدولًا لنشاطات الصيف، سيذهبان للتدريب على السباحة في النادي ليتمكنا من العوم بمهارة، وسيتعلمان رياضة «الكاراتيه» للدفاع عن النفس، وسيقرأ كل منهما قصة جديدة كلّ يوم، وبالتأكيد سيحفظان آياتٍ جديدة من القرآن الكريم مع الشيخ في المسجد.

اتفقت معهما كذلك على بعض النشاطات الأخرى في البيت، لإضافة جوٍ من المرح مليءٍ بالمغامرات داخل المنزل أيضًا.

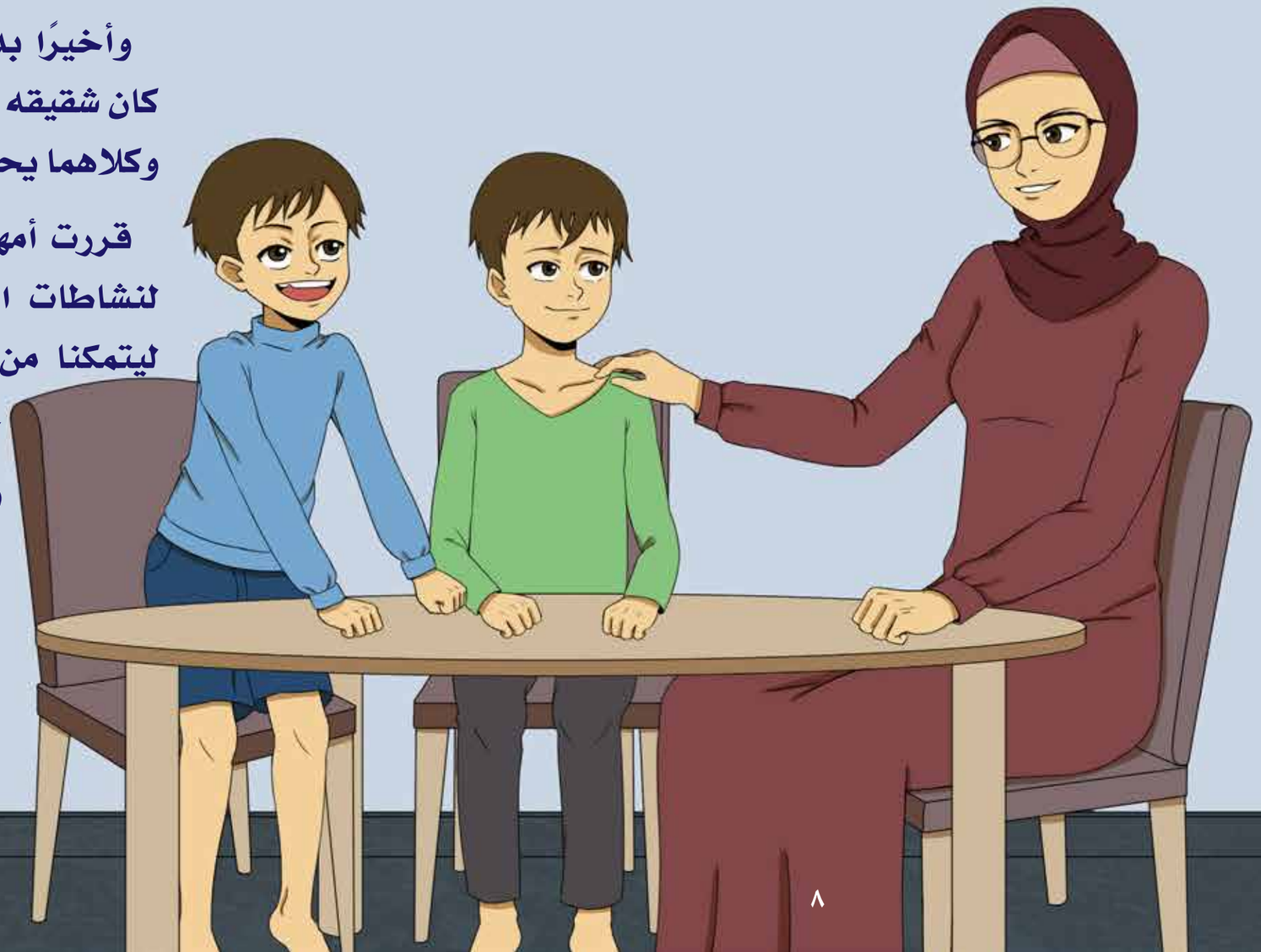

أخبرتهما أنها سترسم لهما كلّ يوم خريطة ليبحثا عن الكنز المفقود، وهو صندوق ممتليء بالحلوى اللذيذة واللعب والمفاجآت، على أن يقوما بترتيب حجرتهما وأدواتهما وألعابهما وهما يبحثان عن الكنز كلّ يوم وإلّا فلن تعطيهما «هدية يوم الجمعة» والتي يحضرها لهما والدهما كل أسبوع لحسن خلقهما طوال الأسبوع.

استيقظ «يوسف» مبكرًا وبعد أن غسل وجهه وتوضّأ وصلّى، ذهب إلى شجرة الصلاة التي علقتها له أُمه على خزانته، وكانت عبارة عن شجرة جديدة ترسمها له كل أسبوع، لها سبعة أفرع على عدد أيام الأسبوع، وكل فرع من السبعة أفرع له

خمس ورقات كبيرة من أوراق الشجر. كان «يوسف» يلوّن ورقة منها عندما ينتهي من الصلاة باللون الأخضر، وعندما ينتهي الأسبوع وتصبح كل الأوراق خضراء يأخذ هدية أو تدعو له أمه بدعاء طويل وجميل. أمسك اللون الأصفر تلك المرّة لأنه لم يستيقظ مبكرًا قبل شروق الشمس مع والديه فكانت صلاة الصبح قضاءً للأسف، ولون الورقة باللون الأصفر.

رآه «عبد الرحمن» من بعيد ولاحظ أنه حزين لأنه سيلون ورقة صلاة الصبح باللون الأصفر فقال له:

-صباح الخير يا «يوسف» لا تحزن فأنا أيضًا عندي ورقة صفراء لأنني لم أستيقظ أمس لصلاة الصبح في وقتها.

اقترب «يوسف» من فراش شقيقه وقال:

-هيا يا «عبد الرحمن» قم بنا حتى نبحث عن الكنز.

-حااضر يا «يوسف».

أمهلني دقيقة، ولتشرب أنت كوب الحليب حتى ألحق بك، فكما اتفقنا لا نريد أن نغضب أمي أبدًا.

قال «يوسف» بحماس:

-لقد شربته بالفعل وأنت نائم، وقرأتُ أوّل رسالة منها، كانت في ظرف صغير بجوار كوب اللبن بالمطبخ.

اعتدل «عبد الرحمن» في فراشه جالسًا ونظر إلى يوسف وسأله باهتمام:

-وما المكتوب فيها؟

قال «يوسف»وهو يفكّر:

-شيء يسير طوال النهار ويعود في النهاية لنفس المكان ثم يسير مرّة أخرى ولا يتعب أبدًا!

قفز «عبد الرحمن» من فراشه وقال:

-دقائق وسألحق بك لنبحث عنه.

صاح «يوسف» بحماس:

-هيا!!!.

بعد دقائق كان كلاهما يدور في البيت، أمسك

«يوسف» عدسة مكبّرة وارتدى قبّعة فوق رأسه،

وكأنّه مفتش سري! ووضع «عبد الرحمن» يديه خلف

ظهره وسار وهو يتفحص كلّ شيء ويحرّكه وينظر تحته ثم يعيد يديه خلف ظهره مرة أخرى في وقار المحققين والمفتشين.

بحثا كثيرًا ولم يجدا الرسالة الثانية، توقف «عبد الرحمن» عن البحث وقال لأخيه:

-مممم..ترى هل هو الحذاء؟

أجابه «يوسف»:

-لا أظن، فالحذاء لا يعود لنفس المكان، بل نحن نتحرك به في أماكن مختلفة، كما أننا لا نسير طوال النهار فنحن نتوقف ونجلس وننام، أيضًا نحن لا نرتديه طوال اليوم!، لا لا.. ليس الحذاء.

قال «عبد الرحمن»:

-لقد عرفت، إنه عقرب الساعة!، تك.. تك.. تك.. تك..

صفّق «يوسف» وقال:

-أحسنت يا «عبد الرحمن»، يا لك من ذكيّ!

واتجها إلى الساعة المعلّقة على الحائط، وحركاها بحرص شديد فسقط من خلفها ظرف أبيض صغير، كانت بالفعل الرسالة الثانية.

فتحها «عبد الرحمن» وقرأها بصوت مسموع وقال:

-مطهرةٌ للفمِ ومرضاة للرب وسنّة نبوية ورائحته جميلة.

ابتسم«يوسف» وقال بثقة:

-طبعًا إنه السواك، وهذا قول النبي صلى الله عليه وسلّم.

هيا نفتح العلبة الخشبية التي تضع فيها أمي الأسوكة الجديدة.

اقترب الشقيقان من العلبة وفتحاها ووقفا يستمتعان برائحة السواك الجميلة، وكانت بالفعل هناك رسالة ثالثة، وجاء دور «يوسف» الذي فتحها وقرأ فيها:

-أوّل كلمة نزلت من القرآن.

صاح«عبد الرحمن»:

-إقرأ، إقرأ باسم ربك، إنها في سورة العلق.

قال «يوسف»:

-فلنبحث خلف اللوحة المعلّقة على جدار غرفتنا، والمكتوب عليها كلمة «إقرأ».

وبالفعل كانت هناك رسالة رابعة هناك خلف الصورة المعلّقة في غرفتهما، والمكتوب عليها بخطٍ عربيٍ جميلٍ كلمة إقرأ.

فتحها «عبد الرحمن» وقرأ ما فيها:

-من أفطر بسبع منها لم يضرّه ذلك اليوم شيء.

نظر «يوسف» لأخيه وسأله:

-ماذا تقصد أمي؟ هل تقصد سبع أكواب من الحليب؟

أجابه «عبد الرحمن» قائلًا:

-لا لا يا يوسف، إنها تقصد التمر، فقد سمعت أبي وهو يخبرها عن حديث النبي صلى الله عليه وسلّم الذي قال فيه:

«من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحر» (متفق عليه).

هيا إذن نبحث في المطبخ في كيس التمر الذي أحضره أبي لنا بالأمس.

ذهب الشقيقان إلى المطبخ، وفتحا كيس التمر بحرص شديد حتى لا يسحقون التمر ويفسدونه، وبالفعل كانت هناك الرسالة الخامسة، حيث طوتها الأمّ على شكل مربع صغير وأخفتها بين حبّات التمر. فرح الشقيقان فكلاهما يحبُّ التمر، وتناول كلّ منهما سبع حبّات من التمر اللذيذ فقد بذلا مجهودًا في البحث ويحتاجان للطاقة مجددًا، ثم أغلقا الكيس بإحكام كما كان وأعادا كلّ شيء إلى مكانه بعد قراءة الرسالة والتي كان فيها:

-بعد أن تأكلا التمر اتصلا بي على هاتفي الجوال.

ضحكا كثيرًا من هذه الرسالة حيث كانت أمهما تعرف أنهما سيأكلان التمر لا محالة.

أمسك «عبد الرحمن» الهاتف وقام بالاتصال بأمّه وقال بحب وأدب:

-السلام عليكِ يا أمي، كيف حالك يا غالية؟

قالت الأم بصوت سعيد:

-وعليكَ السلام يا حبيبي، إذن فقد وجدتما الرسالة الخامسة، أليس كذلك؟

قال «عبد الرحمن»:

-نعم يا أُمي، وجدناها وأكلنا التمر.

قالت الأم بحماس:

-اللغز الخامس هو، كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن! فما هما؟

فكّر «عبد الرحمن» قليلًا ولم يعرف، فقال لأمه التي كانت تنتظر إجابته على الهاتف:

-هل من الممكن أن أسأل صديقي يا أمي وأعود فأطلبك بعد قليل؟

قالت أمه:

-لك ذلك يا حبيبي.

أغلق «عبد الرحمن» سماعة الهاتف بعد أن سلّم على أمه، وقرر أن يسأل شقيقه «يوسف» أولًا، فربما يعرف الإجابة.

جلس بجواره وقال له:

-كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن!

فما هما؟

فكر يوسف قليلًا وقال لأخيه:

-لا أعلم، ربما «أحبك في الله» أو «جزاك الله خيراً»، كله كلام جميل فالله جميلٌ يحب كل شيء جميل.

هزّ«عبد الرحمن» رأسه موافقًا، ثم قال:

-أذنت لي أمي أن أسأل صديقًا، ما رأيك أن نتصل بـ«محمود» ابن عمّنا ونسأله فهو أكبر منا سنًا ولابد أنّه يعرف الإجابه؟

وافقه«يوسف»، وبالفعل قاما بالاتصال بـ«محمود» الذي قال لهما الإجابة على الفور:

-يا أحبائي، إنها «سبحان الله وبحمده» و«سبحان الله العظيم».

عليكما أن تكثرا من ترديدها طوال الليل والنهار، هكذا علّمني أبي.

فرح«عبد الرحمن» وشكر «محمود» لأنه دلّه على هذا الكنز الثمين، وشكره كثيرًا ثم وضع سمّاعة الهاتف والتفت لأخيه وقال له الإجابة، ثم أكمل يقول:

-الآن لا بد أن نبحث عن شيء بالبيت له علاقة بالكلمتين، فكّر معي يا «يوسف».

ارتدي كلّ منهما قبّعة التفكير التي يرتدونها عندما يفكران، كانت قبّعة «يوسف» حمراء، أمّا قبّعة «عبد الرحمن» فكانت زرقاء.

فكّر «يوسف»، وفكّر «عبد الرحمن»، وأخيرًا تذكرا أنّ هناك صورة على حاسوب والدهما مكتوب عليها «سبحان الله وبحمده»، «سبحان الله العظيم»...

أسرعا إلى مكتب الأب وضغطا على زر الحاسوب، فوالدهما يسمح لهما باستخدامه وهو في عمله، لأنه يعلم أنهما يحافظان عليه ولا يعبثان بملفاته.

وفجأة وجدا الرسالة السادسة مكتوبة على شاشة الحاسوب أمامهما، كتبتها الأم قبل أن تذهب للعمل!

وكان فيها:

-اذهبا الآن ورتبا فراشيكما وعلّقا ملابسكما في الحال واجمعا اللعب في الصندوق.

ضحك«يوسف» و«عبد الرحمن» وركضا بسرعة إلى غرفتهما وبدأ كل منهما في ترتيب فراشه، وبينما هما يرتبان الفراشين وجد كلّ منهما رسالة تحت وسادته، إنهما الرسالتان السابعة والثامنة!

فرح الشقيقان جدًا، فهما يقتربان من الكنز، وبدأ كلّ منهما يفتح رسالته.

كانت رسالة «عبد الرحمن» هي السابعة وكان فيها:

- لا يؤمن أحدكم حتى...

وكانت رسالة «يوسف» هي الثامنة وكان فيها:

-...يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه.

وضع الشقيقان الرسالتان بجوار بعضهما وقرآها معًا، وابتسما عندما تذكرا الحديث الشريف الذي أخبرهما به والدهما عن النبي صلى الله عليه وسلّم والذي قال فيه:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه» (البخاري ومسلم)

عاد الشقيقان إلى الحاسوب ووقفا حائرين.

أين هي الرسالة التاسعة يا تُرَى؟ والرسالة العاشرة أيضًا تُرى أين تختبئ؟ فأمهما قد أخبرتهما أنهم عشر رسائل.

ظلّا حائرين وسط غرفتهما وأخذا يفكران.

قال «يوسف»:

-ألم تخبرنا أمي أنها سترسم خريطة! أين الخريطة؟ لعلها تكون هي إحدى الرسالتين الباقيتين.

قال «عبد الرحمن»:

-يبدو أن الجزء الباقي سيكون شيقًا يا «يوسف»، هيّا نبحث عن الخريطة معًا، ولنبدأ بالمكتبة، لا بد أن أمي أخفت الخريطة بين القصص.

أسرع كلاهما إلى المكتبة بحماس ونشاط، وبدأ «عبد الرحمن» يخرج القصص واحدة تلو الأخرى ويبحث بين أوراقها ثم يعطيها ليوسف ليعيدها بنظام إلى مكانها كما كانت، وأخيرًا وبعد بحث دقيق وجدا الخريطة.

كانت الخريطة مرسومة بشكل مبسّط، وكانت هناك رموز مرسومةٌ أيضًا، وحروف مقطّعة. رسمت الأم الغرف الأربعة وصالة البيت، حتى الممر الذي يؤدي إلى المطبخ، ورسمت علامة كبيرة في ركن أحد الغرف.

صاح «يوسف»:

-إنه فراشي.. الكنزُ تحت فراشيييي.

ركض الشقيقان إلى الغرفة ونزل «يوسف» وزحف على بطنه بمهارة تحت الفراش وسحب من تحته صندوقًا خشبيًا أنيقًا وجميلًا، حاول أن يجرّه لكن الصندوق ثقيل، فنادى على «عبد الرحمن» ليسحبه من قدميه وهو ممسك بالصندوق.

أمسك «عبد الرحمن» بأقدام شقيقه وبدأ يجرّها ويعود إلى الخلف، وكان «يوسف» يمسك بالصندوق جيدًا حتى لا ينفلت من بين يديه.

ونجح الشقيقان في إخراج الصندوق أخيرًا من أسفل الفراش، وقفزا في الهواء عدة مرات وهما يصفقان من شدة السعادة.

قال «عبد الرحمن»:

-أخيييييرًا وجدنا الكنز.

ولكنهما انتبها فجأة إلى شيءٍ هامٍ جدًا.

أين مفتاح الصندوق؟

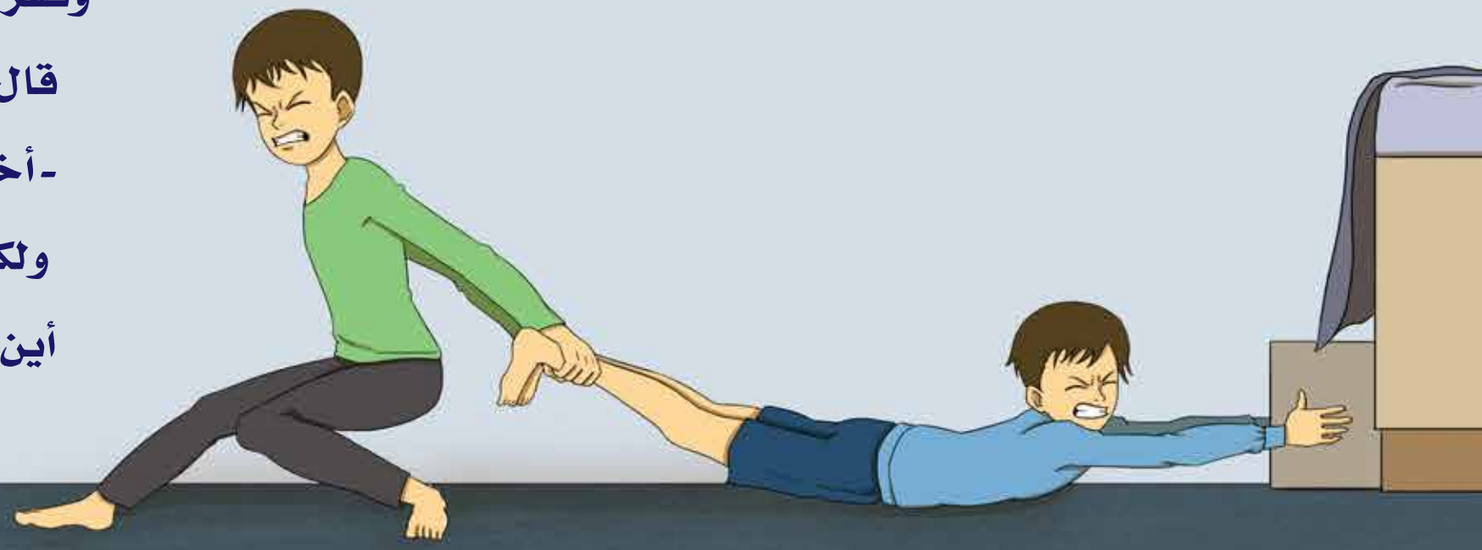

بحث الشقيقان في كلّ مكان، وازدادت حيرتهما، على الفور تذكّر «يوسف» شيئًا فقال لأخيه:

-بقيت رسالة واحدة، لا بد أنها ستدلّنا على مكان المفتاح، هيّا نبحث في مكان آخر.

فكّر «عبد الرحمن» قليلًا ثم قال لأخيه:

- لا يوجد رسائل خلف الأبواب! ولا في أدراج ملابسنا! وحتى جيوب المعاطف! وحقائب المدرسة! وفتشنا كذلك بين القصص!

أين المفتاح؟ أين؟

صاح «يوسف»:

-هيّا نبحث في أماكن غير عادية. مثلا تحت الأريكة، أو داخل الثلاجة، أو فوق التلفاز.

طرقع «عبد الرحمن» بإصبعيه السبابة والإبهام وقال بسعادة:

-فكرة عبقرية، أحسنت يا «يوسف».

بدأ الشقيقان يبحثان في تلك الأماكن و داخل العلب، وتحت أطراف السجاجيد، وبين اللعب، و... و..! ويالللمفاجأة حين وجدا المفتاح أخيرا في جيب معطف «يوسف» المعلّق خلف الباب!

ضحك «يوسف» و«عبد الرحمن» كثيرًا، وركضا معًا مرة أخرى نحو الغرفة حيث كان الصندوق الخشبي، ووضعا المفتاح في القفل وأداراه فانفتح بسهولة أخيرًا.

كان بداخله الكثير من المفاجآت، واللعب، والقصص، الحلوى والبسكويت والشوكولاتة، ولكن!... لاحظا شيئًا غريبًا!

كانت هناك قطعة واحدة من كل نوع من أنواع الحلوى اللذيذة..

هنا فهم الشقيقان على الفور رسالة أمهما العاشرة والأخيرة دون أن تكتبها لهم، واقتسما كل ما في الصندوق معًا، كل قطعة يخرجانها يقسمانها إلى نصفين.

قال «عبد الرحمن» وهو يأكل الشوكولاته اللذيذة وينظر لأخيه:

-أحب لأخيك...

فابتسم «يوسف» وقال وهو يأكل الحلوى الشهية وينظر لأخيه:

-ما تحبّه لنفسك...

وأخيرًا اكتشف الشقيقان الكنز.

فكلاهما يحبّ الآخر كثيرًا، ويحبّ له ما يحبّه لنفسه.

في هذه الأثناء سمعا صوت المفتاح يتحرك في باب المنزل، إنها أمهما الحبيبة، صاحا بحماس معًا في صوت واحد:

-أمي... هيييييه

ركضا نحوها بسعادة وهما يمسكان في يديهما الحلوى المقسومة نصفين، فوضعت حقيبة يدها واحتضنتهما وقالت:

يبدو أنكما قد وجدتما الكنز الثمين يا أحبائي، إنه الحب.

..تمت..

ساعة محمود

ترررررن، ترررررن.

تصاعد رنينُ هاتفِ محمود النقال، فقد وقَّتَهُ على الساعة السادسة صباحًا، لا بدَ أن يستيقظ الآن لكي يستعد للذهاب إلى المدرسة، لكن الجوّ بارد وهو نعسان ويودّ أن ينام مرّة أخرى. وضع يده على فمه ليكبح تثاؤبًا طويلًا ثُمّ قرر أن ينام لمدة دقيقة، دقيقة واحدة فقط. شدّ الغطاء وأخفى رأسه تحته واستسلم للنوم مرّة أخرى.

مرّ الوقت بسرعة وتعانقت عقارب السّاعة عند رقم ستّة فأصبحت الساعة السادسة والنصف، لقد مرّت نصف ساعة...يا إلهي!

فتحت الأم باب غرفة محمود وقالت بهدوء:

-محمود، محمود، قم يا حبيبي لقد تأخّرت.

أخرج «محمود» رأسه من تحت الغطاء وسألها وهو يغمض عينا ويفتح أخرى:

-كم الساعة يا أمي؟

أجابته وهي تفتح النافذة :

-السادسة والنصف، قم بسرعة فالوقت يمرّ.

قال بكسل شديد :

-اتركيني أنام يا أمي، دقيقة أخرى فقط، دقيقة واحدة.

أمسكت الأم بالغطاء وأزاحته بلطفٍ عن رأسه وقالت بحنان :

-أتعلم يا محمود أن في دقيقة واحدة من الممكن أن تفعل أشياء كثيرة.

جلس محمود وأخذ يفرك عينيه بيديه وقال بابتسامة واسعة :

-أجل أجل أعرف يا أمي، ففي دقيقة واحد أستطيع أن أنام نوما رائعا من جديد.

ضحكت أمه وقالت له :

-يا كسول، بل تستطيع أن تفعل أمورًا أعظم بكثير في دقيقة واحدة.

رفع حاجبيه و ضمّ شفتيه وسألها بفضول :

-كيف يا أمي؟ دقيقة واحدة لا تكفي لشيء!

خرجت الأم من الغرفة وقالت وهي تبتسم:

-فكّر وجرّب وأخبرني بنفسك، ما الذي تستطيع صنعه في دقيقة واحدة؟

قفز محمود من فراشه وذهب ليتوضأ، وبينما هو يغسل أسنانه بالفرشاة كان ينظر إلى المرآة ويفكّر، ما الذي يستطيع أن يفعله في دقيقة واحدة؟

انتبه فجأة لعقارب الساعة، لقد مرّت دقيقة بالفعل، إذن هو يستطيع غسل أسنانه في دقيقة واحدة، خرج من الحمام وهو يضحك وذهب إلى أمّه في المطبخ حيث كانت تعد له الفطور، وقال بمرح:

-أستطيع أن أغسل أسناني وأجعلها تلمع كاللؤلؤ في دقيقة.

ابتسمت الأم ومدت له يدها وأعطته شطيرة من الجبن وقالت:

-وتستطيع أن تصنع شطيرة جبن في دقيقة، وأن تأكلها في دقيقة، فكر في أشياء أخرى ولك عندي هدية.

دقت الساعة السابعة وخرج «محمود» من البيت وعَبَرَ الشارع في طريقه إلى المدرسة، و كان لا يزال يفكّر في الأشياء التي يستطيع أن يفعلها في دقيقة، ثم فجأة وصل إلى المدرسة فنظر إلى الساعة في يده ولاحظ أنّه يستطيع الوصول إلى المدرسة في دقيقة، حيث أنها في الجهة الأخرى من الطريق، أخرج مفكّرة ورقية صغيرة من حقيبته وكتب فيها:

-أستطيع أن أغسل أسناني في دقيقة، وأستطيع أن أسير من البيت إلى المدرسة في دقيقة.

ثُمّ أعاد المفكّرة إلى حقيبته وأسرع لينضم إلى زملائه في طابور الصباح.

عاد محمود إلى البيت، كان سعيدًا فقد اكتشف شيئًا جميلًا، التقى بوالده أمام باب البيت، دخلا معًا بعد أن سلّم على والده وقبل يده ثمّ قال بمرح:

-أتعلم يا أبي أنني أستطيع قراءة سورة الفاتحة ثلاث مرّات في الدقيقة!!

ابتسم الأب وقال له:

-رائع يا «محمود»، هل تعلم أن كل حرف تقرأه من سورة الفاتحة تُثاب عليه بإذن الله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وأن عدد حروف السورة هو مائة وتسع وثلاثون حرفًا، وعندما تقرأها ثلاث مرّات ستنال إن شاء الله آلاف الحسنات.

صفق «محمود» وقال:

-رائع يا أبي! الحمد لله.

مسح والده على رأسه وقال أيضًا:

-وفي دقيقة واحدة تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده مائة مرّة، ومن قال ذلك في يوم غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وتستطيع أن تختم القرآن مرتين في دقيقة أيضا.

اندهش محمود بشدة وفتح عينيه واسعًا وهو يسأل والده:

-ماذا! كيف هذا؟!

قال له الأب:

- تقرأ قل هو الله أحد ست مرات في دقيقة، فقد قال النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟

قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ

قَالَ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ .

احتضن الوالد «محمود» واتجها معًا إلى المطبخ حيث كانت الأم تعد طعام الغذاء، فاستقبلتهما بسعادة. وبعد أن بدّل كلاهما ملابسه، جلسوا جميعًا لتناول طعام الغذاء.

مرّ الوقت سريعًا، انتهى «محمود» من كتابة دروسه، كانت الساعة التاسعة مساءً، قرر أن يجرّب شيئًا في دقيقة، سحب كتابًا من مكتبته وجلس يقرأ فيه، حاول أن يحسب عدد الصفحات التي يستطيع قراءتها في دقيقة، استطاع أن يقرأ صفحتين، ابتسم وكتب على ورقة صغيرة:

-أستطيع أن أقرأ صفحتين من كتاب مفيد في دقيقة.

في اليوم التالي، أخبر «محمود» معلم اللغة العربية عن الفكرة، فطلب من «محمود» أن يقف ويسأل زملائه في الفصل نفس السؤال الذي سألته له أمه في البيت، وقف «محمود» بجوار معلّمه وسأل الجميع:

-ماذا تستطيع أن تفعل في دقيقة؟

قالت «سلمى»:

-أستطيع أن أرتب سريري في دقيقة.

وقال «أسامة»:

أستطيع أن أرتدي ملابسي في دقيقة.

وقالت «زينب»:

-أستطيع أن أقرأ صفحة من القرآن في دقيقة.

وقال «محمد»:

-أستطيع أن أرسم منظرًا جميلًا في كراسة الرسم في دقيقة.

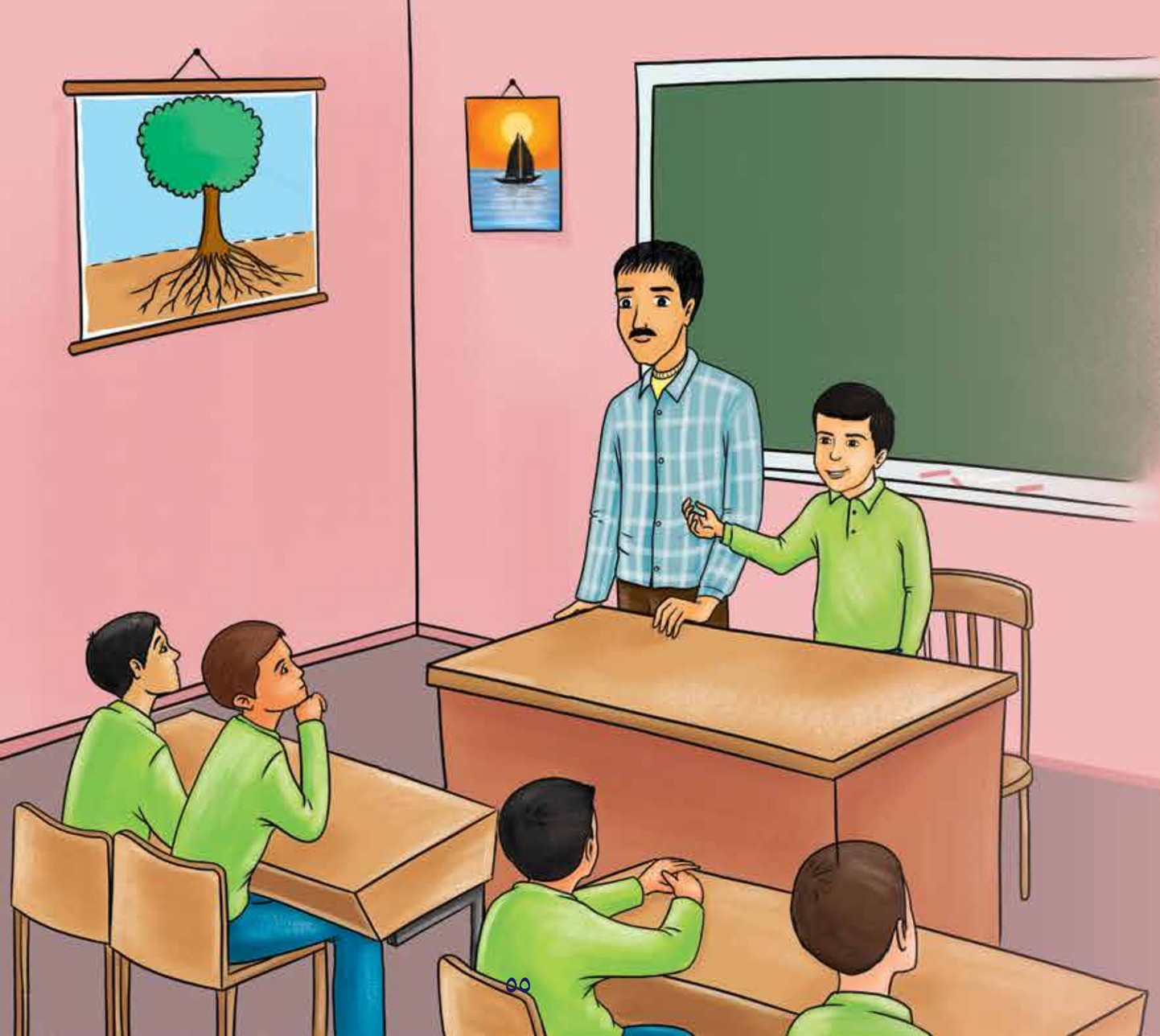

وقالت «ياسمين»:

-أستطيع أن أحفظ ثلاث كلمات باللغة الإنجليزية في دقيقة.

وقال «عبد الرحمن»:

-أستطيع أن أحل مسألة حساب في دقيقة.

وقال «محمود»:

-وأنا أستطيع أن أغسل أسناني في دقيقة، وأستطيع أيضًا أن أسير من البيت إلى المدرسة في دقيقة، وأستطيع أن أقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرّات في دقيقة، وسورة الإخلاص ست مرات في دقيقة، وأن أسبح لله مائة مرّة في دقيقة، كما أنني قرأت صفحتين من كتاب مفيد في دقيقة، وسأقرأ كل يوم صفحتين من القرآن في دقيقة.

صفّق له الجميع وابتسم المعلم وحيّاهم جميعًا، ثُمّ قال لهم وهو يشير إلى ساعة يده:

-أرأيتم يا أحباب، الوقت مهم، الدقيقة مهمة ونستطيع أن نفعل فيها الكثير، فانتبهوا لوقتكم واحسبوه بالدقيقة، ولا تضيعوه في اللهو، الوقت من ذهب.

عاد «محمود» إلى البيت وهو سعيد، قرر أن ينظم وقته كما نصحه معلّم اللغة العربية، وضع منبها على مكتبه، وعلّق على الحائط أمامه أوقات الصلاة، وأصبح يومه أكثر بركة، حتى وقت اللعب خصص له نصف ساعة كل يوم، أمّا وقت النوم فلا يتأخّر عنه أبدًا، فالجسم يحتاج إلى ثماني ساعات من النوم كلّ يوم.

جاء يوم الجمعة، جلس الأب على مقعد بجوار باب البيت ونادى على «محمود»:

-هيا يا «محمود» سيصعد الإمام على المنبر.

جاء «محمود» وفي يده الحذاء والجورب وقال وهو يرتديه:

-دقيقة يا أبي، دقيقة.

هزّ الأب رأسه وقال:

- لا بد أن نصل قبل أن يصعد الإمام، أسرع يا ولدي قبل أن يؤذن لصلاة الجمعة لا بد أن نصل مبكرًا ابتغاء الأجر الأكبر، فكل دقيقة نتأخرها نخسر أجرًا.

قال «محمود» باندهاش:

-حقا يا أبي؟

قال الأب:

-نعم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَة غُسْلَ الْجَنَابَة ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الثَّانيَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الثَّالثَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الرَّابعَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الْخَامسَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتْ الْمَلَائكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ.

وقوله أيضا:

إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر.

صاح «محمود» بحماس:

-هيّا يا أبي قبل أن تغلق الملائكة الصحف..هيا هيا.

انتهت الصلاة وعاد «محمود» وهو سعيد، فقد وصل مع والده إلى المسجد مبكرًا واستطاع أن يقرأ سورة الكهف كاملة قبل أن يصعد الإمام لمنبره ويبدأ خطبة الجمعة.

لاحظت أمه أنه أصبح نشيطًا، وأنّه ينهي واجباته مبكرًا، ويستيقظ في وقته ولا يتأخّر كلّ صباح.

كما لاحظت جدول الصلاة وجدول تنظيم مذاكرة الدروس المعلقان فوق مكتبه.

نادت عليه وهي تقف في المطبخ وطلبت منه أن يساعدها في تجربة لطيفة، صفق «محمود» فهو يعشق التجارب العلمية، سألها بحماس شديد:

-أين أدوات التجربة يا أمي؟

أشارت الأم إلى ثلاثة أطباق كبيرة، الأول به سكر، والثاني به ليمون صغير، والثالث به حبّات برتقال كبيرة الحجم، وكان بجوارهم إناء زجاجي شفاف كبير. تعجب «محمود» وسألها بفضول:

-ما هذا يا أمي!!

قالت أمه:

-سننفذ سويا تجربة رائعة قرأت عنها منذ فترة في مقال مفيد، فالقراءة غذاء العقل بحق يا بني.

ثم أشارت إلى البرتقال وقالت:

-هذه أهم الأشياء التي يجب أن تنجزها طوال يومك، استذكار دروسك، ممارسة الرياضة، الاهتمام بصحتك، الصلاة في وقتها، الجلوس معي أنا ووالدك، قراءة وردك اليومي، قراءة كتاب مفيد، تحقيق أهدافك.

ثُمّ أشارت للطبق الممتلىء بالليمون الصغير الحجم وقالت:

-وهذه هي الأشياء الأقل في الأهمية، أي التي من الممكن أن تنجزها كل فترة وتستطيع أن تؤجلها لقلّة أهميتها عن الأشياء الأولى، كالرسم والتلوين، وممارسة الهوايات المختلفة كجمع العملات والطوابع والأشغال اليدوية.

أشارت للطبق الممتلىء بالسكر وقالت:

-وهذه الأشياء غير المهمة، والتي تستطيع الاستغناء عنها، كمشاهدة فيلم كارتوني مكرر للمرة العاشرة، والجلوس مثلا مع أصدقائك بعد المدرسة تراقبون المارّة في الطريق فقط، والنوم الزائد عن الحد الطبيعي كسلًا دون الحاجة إليه.

اقترب محمود وقال لأمّه:

-وما علاقة ذلك بالتجارب العلمية!!

أحضرت الأم الإناء الزجاجي وقالت، ساعدني في سكب هذه الأشياء بالترتيب داخل هذا الإناء الزجاجي، ولنبدأ أولًا بالسكر.

أمسك «محمود» بملعقة كبيرة وبدأ في نقل السكر للإناء فامتلأ ثلث الإناء بالسكر، ثُم أمسك بحبات الليمون وبدأ ينقلها فوق السكر، فملأت نصف الإناء وأكثر..وأكثر، وعندما بدأ في نقل حبّات البرتقال لم يجد مكانًا إلا لثلاث برتقالات فقط!!

ابتسمت الأم وقالت:

-هكذا يفعل من يضيعون أوقاتهم، يملأون اليوم بأشياء غير ضرورية كالسكر، ثُم الليمون، وفي النهاية يضيق الوقت وينتهي اليوم ولا يتبقى مكان لأهم الأشياء في حياتنا، والآن أخرج ما أدخلته في الإناء وأعد كل شيء لمكانه.

أمسك محمود بحبات البرتقال الثلاثة وأعادهم للطبق الخاص بالبرتقال، ثُمّ عاد وأخرج حبّات الليمون كلها، وأخيرًا سكب السكر في الطبق الخاص به وعاد الإناء الزجاجي فارغًا كما كان أوّل التجربة، عندها قالت له الأم:

-والآن إبدأ بحبات البرتقال وضعها كلّها أولًا.

أمسك محمود بحبات البرتقال ووضعها جميعًا في الإناء، ثم وضع فوقها حبّات الليمون الصغيرة والتي بدأت تنزلق بين حبات البرتقال هنا وهناك، وأخيرًا وضع السكر الذي ملأ الفراغات ودخل كلّ شيء في الإناء، فتعجب «محمود» وقال:

-حقًا يا أمي، عندما بدأنا بالأهم صار لدينا متسع لكل شيء.

قالت الأم:

-انتبه لوقتك يا «محمود».

صاح «محمود» بحماس:

-نعم نعم، سأنظّم وقتي وأبدأ بأهم الأشياء حتى أحقق أهدافي كلّها يا أمي.

في اليوم التالي عاد «محمود» من المدرسة فوجد علبة جميلة مربوطة بشريط أزرق بديع على مكتبه، كانت هدية من والدته كما وعدته، ساعة جديدة وجميلة، أسرع «محمود» إلى أمّه وقال بمرح:

-جزاك اللّٰه خيرًا يا أمي، كنت أحتاج بالفعل لساعة جديدة.

احتضنته أمه وقالت بحنان:

-أعلم يا حبيبي، وفيها أيضا خاصية تنبيهك بجملة صوتية تسجلها بصوتك إن أردت.

فقال ضاحكا :

-يا الله! ما أجملها! أوقظ نفسي بنفسي وأنا نائم! كم هذا مضحك!

فباغتته أمه تدغدغه في رقبته و هي تقلد صوتًا كالمنبه الصوتي غليظ الصوت قائلة :

-استيقظ يا كسووول..تررررن، استيقظ يا محمود..تررررن، استيقظ قبل أن أغرقك بالماء..تش تش تش.

احتضن محمود أمه وهو يقهقه عاليا من الضحك على مزاحها ومنبهرا بإتقانها للصوت وكأنه صوت ببغاء ثرثار.

مسحت أمه على رأسه وقالت له :

بارك الله في وقتك وعمرك يا بني، وحافظ يا ولدي على ساعتك ونظّم أوقاتك، فالوقت من ذهب يا «محمود».

..تمت..

مهند وكوكي

ترررررن

دقّ جرس الهاتف، وها هو «مهنّد» يرفع سمّاعة الهاتف، فقد أخبرته جدّته أن يرد على الهاتف بسرعة.

قال «مهنّد»:

-السلام عليكم

لقد كانت عمّته «إيمان» التي سافرت منذ شهور لزوجها في السعودية، بعد أن كانت قد أتت هنا في موطن «مهنّد» لأيام قليلة لكي تتمكن من حضور حفل زفاف شقيقتها العمّة الأخرى «سمر».

أجابته بفرحة:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا «مهنّد»، كيف أنت يا حبيبي؟

ضحك «مهنّد» وقال بفرح:

قالت العمّة:

-وأنا أيضًا اشتقت إليكما كثيرًا كثيرًا.

سأعود إليكم مجددًا إن شاء الله يوم الخميس القادم، وسأراك عما قريب يا حبيبَ عمَّتِك.

صاح «مهنّد» بفرحة كبيرة:

جدَّتي أبشري بخبر سعيد، عمتي «إيمان» ستحضر قريبًا إن شاء الله، أنا مسرور.

ثم ودَّعها على الهاتف، والكل مبتهجٌ بالخبر السارّ.

ستعود العمّة قريبًا إذن.

مر الأسبوع سريعًا،

وفي يوم الخميس، ذهب والد «مهنّد» إلى مطار الإسكندرية ليستقبل شقيقته ويأتي بها معه إلى البيت.

رحّب بها الجميع بشوق كبير وفرحة، فهم سعداء جدًا بوجودها بينهم من جديد.

وفي آخر الليل عاد «مهنّد» وشقيقته «كاريمان» والتي يناديها الجميع «كوكي» إلى بيتهما.

وبعد أن نظَّفا أسنانهما بالسواك وذهب كلّ منهما إلى فراشه رفعت «كوكي» رأسها عن وسادتها وسألت شقيقها باهتمام وفضول:

-ألم تلاحظ مثلي يا «مهنّد» أن عمتي «إيمان» قد ازداد وزنها عن المرة السابقة؟

استدار «مهنّد» ناحيتها ورفع حاجبيه وهزّ رأسه متعجباً وقال:

-بلى قد لاحظتُ!، وبطنها أصبحت كبيرة ومستديرة يا «كوكي»!

قالت «كوكي»:

-لابد أنّها شربت الكثير من الماء، وغدًا ستعود رفيعة كما كانت.

قال «مهنّد»:

-أو لعلها تخبئ لنا هدايا في ملابسها! وربما تخبئ منا الحلوى حتى لا نعثر عليها في حقيبة يدها كالمعتاد ونقضي عليها في ثوانً قليلة كعادتنا فتتفاجأ عمتي في ذهول وتضحك.

قالها «مهنّد» وانفجر ضاحكًا هو و«كوكي» حين تذكَّرا الأمر معًا، ثم أكمل وهو يدفع تثاؤبًا بظهر يده اليسرى:

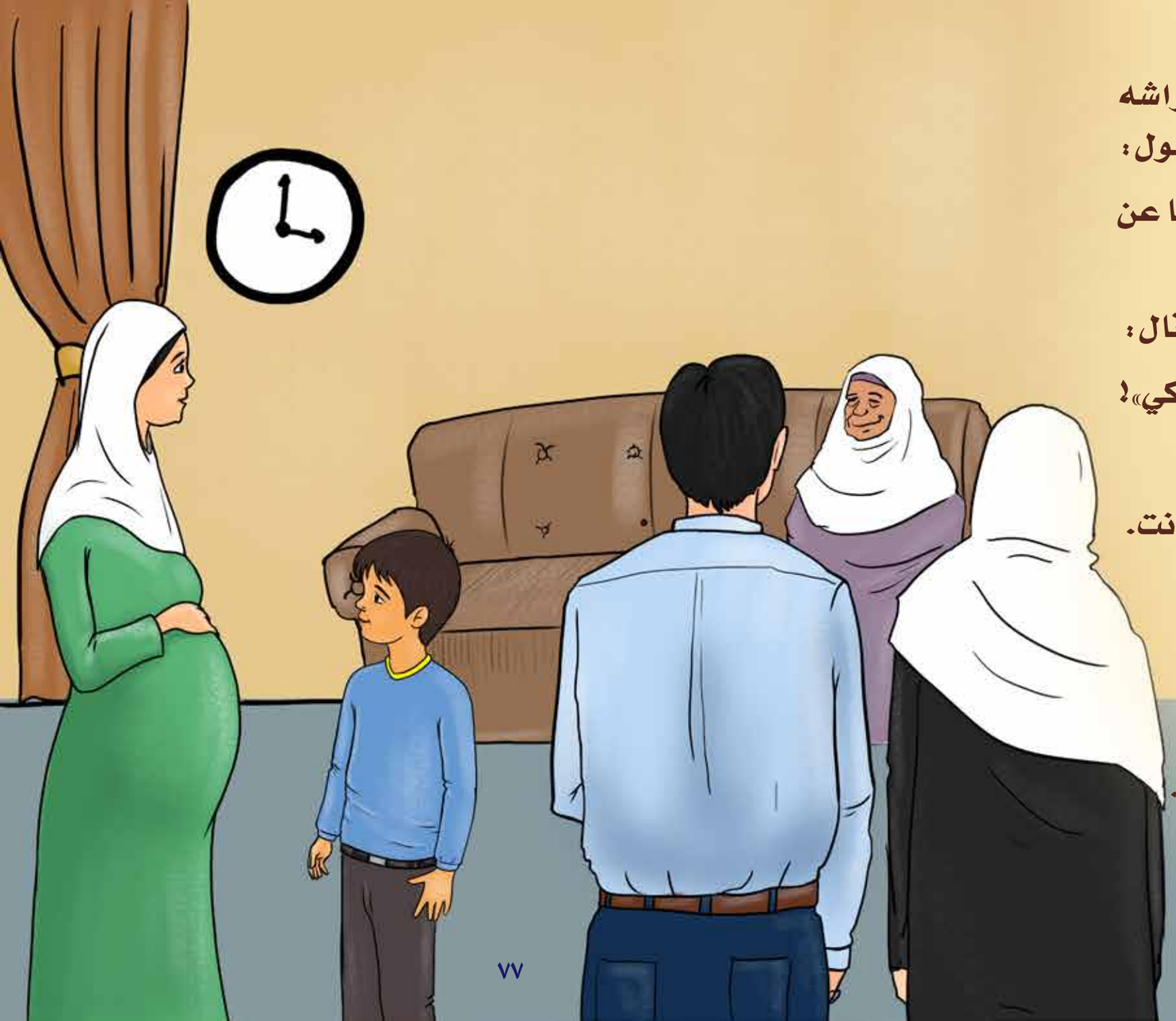

-هيّا ننام الآن وسنراقبها غدًا، ونفاجئها أننا عرفنا مكان الحلوى.

وفي الصّباح ذهب الجميع إلى بيت الجدّة من جديد.

لاحظ «مهنّد» و«كوكي» أن عمتهما بالفعل لا زالت بطنها منتفخة ومستديرة، فقررا أن يخبراها أنهما قد عرفا السر.

قال «مهنّد» وابتسامة بريئة تعلو وجهه وهو يشير إلى بطن عمته «إيمان»:

-عمتي، ألن تُخرجي لنا الحلوى من هنا؟

ضحكت العمة وقالت:

-من هنا أين يا حبيبي؟! أنا لا أحمل هنا حلوى.

رفع «مهنّد» حاجبيه ونظر إلى «كوكي» التي ابتسمت ابتسامة واسعة وهزت رأسها بقوة، ثم قالت بثقة كبيرة:

-أرأيت يا «مهنّد» الأمر كما قلتُ أنا، عمتي أنتِ أكثرتِ من شربِ الماء فانتفخ بطنك هكذا، أليس كذلك؟

ارتفع صوت العمة هذه المرة بالضحك وأخذتهما في حضنها بحنان وقالت:

-يا لبراءتكما وذكائكما وقوة ملاحظتكما، أنتما ذكيان فعلًا.

يا حبيباي، إن بطني منتفخة هكذا لأن بها طفل صغير، هو نائم هنا داخل بطني الآن، يأكل ويشرب و يكبر بأمر الله، حتى يحين موعد خروجه من بطني إلى الدنيا قريبا إن شاء الله وألده، وعندما يكبر سيلعب معكما بالتأكيد إن شاء الله لأنكما طفلان رائعان.

سألتها «كوكي» بدهشة:

-ولماذا أكلتيه يا عمتي! وكيف استطعتِ أن تبتلعي طفلًا بهذا الحجم؟

ضحكت العمّة كثيرًا من خيال «كوكي» البريئ، ثم أجابتها:

-لم آكله يا «كوكي» بالطبع، فهو ليس طعامًا يا حبيبتي.

إنّه ليس في معدتي بل في مكان آخر داخل بطني يسمى الرّحم فأنا أمّه والله رزقني إيّاه في بطني بعد حفل زفافي، أتذكرين؟

قالت «كوكي» بسعادة كبيرة:

نعم نعم أذكره بالطبع، كان حفلًا رائعًا، حيث ارتديتُ فيه فستاني الأبيض المنفوش وكنتُ كالأميرات، وأنتِ كذلك يا عمتي كنتِ رائعة جدًا.

قبلتها عمتها بين عينيها وقالت لها:

بل أنتِ الرائعةُ يا «كوكي».

وهكذا حبيبتي، فإنّ الله تعالى إذا شاء، يرزق المرأة بطفل ينمو في بطنها، ولكن لا بد أن تتزوج أولًا، ليكون للطفل أبٌ يرعاه مع أمّه ويحضر له الطعام الذي يكبرعليه داخل بطنها ثم حين يخرج منها، ويهتم به ويربيه ويعلّمه معها.

تحمله في رحمها تسعة أشهر حتى يكبر قليلًا وتُخلَقُ عيناه ويُشَقُّ سمعُه وفمه وتكتمل يداه وقدماه وقلبه وعقله وكل أعضائه، ثم

بقدرة الله تلده أمه، فيخرج من بطنها بمساعدة الطبيب لتحمله وترضعه اللبن وتنظفه وترعاه بحنانها، وتحمله حتى يستطيع أن يمشي على الأرض، وتعلّمه كلّ شيء حتى الكلام.

هنا قاطعهما «مهنّد» بعد صمته قائلًا:

-إذن أنا كنتُ في بطن أمي، وكذلك أختي «كوكي»؟

قالت العمّة:

-نعم، وأنا أيضًا كنت في بطن أمّي، وكذلك والدك.

قالت «كوكي» وهي تبتسم بفضول:

-وكيف يأكل ابن عمتي هذا الآن؟

قالت العمّة:

-بل قولي ابن عمتك أو ابنة عمتك، فنحن لا نعرف بعد هل هو ولد أم بنت، لكن الطبيب يقول أنها فتاة، والله أعلم.

قفزت كوكي في الهواء وأخذت تدور بفستانها الأزرق وهي تصيح بسعادة وتصفق بيديها:

-هيييييه، الحمد لله يا ربي الجميل، إن شاء الله فتاة مثلي، أسرّح شعرها وأعقد لها الضفائر وألبسها فساتيني التي تصغر عليَّ وأعطيها دميتيَّ «فرح» و«زينة» لتلعب بهما.

قال «مهنّد»:

-سأحبّها كثيرًا حقًا وسأحضر لها الكثير من الحلوى عندما تأتي إن شاء الله، وأنت كذلك يا «كوكي» أليس كذلك؟

قالت «كوكي»:

-بلى.

قاطعتهما العمة قائلة بحب كبير:

-الحلوى تأكلها منكما إن شاء الله عندما تكبر ويصير لها أسنان، فعندما تولد تظل تشرب اللبن فقط وقتا طويلًا.

قالت «كوكي»:

-صحيح يا عمتي أكملي جوابكِ، سألتكِ كيف تأكل ابنة عمتي الآن في بطنكِ...

قالت العمة:

-أنا آكل وأشرب ويذوب الغذاء في دمي كما يذوب السكّر في الماء، ثم يمشي الطعام المذاب في عروقي ويصل إلى طفلي فيتغذّى عليه، وهكذا، كل أم يتغذى طفلها من جسمها.

أتعلمان؛ إنّه لا يرانا الآن، لكنه يسمعنا، وبإمكانكما أيضا أن تسمعاه، اقتربا وضَعا أذنيكما على بطني.

اقترب «مهنّد» من بطن عمّته وقال:

-نحن ننتظرك أيها الطفل الصغير، فلا تتأخر.

ثم اقتربت «كوكي» ووضعت أُذنها على بطن عمّتها وسكتت قليلًا لكي تسمع الأصوات بالداخل، ثم قالت:

-لا أسمع صوته؟ لماذا يا عمتي لا يتكلم و يرد علينا؟

قالت العمّة ضاحكة:

-هو لا يستطيع الكلام بعد، لكنّه يعرف صوتي لأني أمّه، أقرأ له كل ليلة بعضًا من القرآن وأضع يدي على بطني وأرقيه وأحصّنه بأمر الله.

وفجأة اتسعت عينا «كوكي» و«مهنّد» وقفزا للوراء في دهشة كبيرة وصاح «مهنّد»:

-عمتي! لقد رأيتُ شيئا يتحرك! أهذا هو؟

ابتسمت العمة وقالت بحماس:

-أجل أجل، هو يتحرك يريد أن يخرج ليلعب معكما سريعًا.

هيا يا حبيباي، أحضرا لي المصحف لنقرأ سويًا له بعض القرآن.

مرّت الأيام وكانت العمّة تمشي ببطء أكثر من الأول، وتتألم كثيرًا، وكانت قدماها تؤلمانها كلما سارت أو وقفت، قال «مهنّد» بحزن لأمّه:

-أُمي، إن عمتي متعبة جدا.

أُشفق عليها كثيرًا، فقد كنت أحمل حقيبتي أمس بالمدرسة طوال طابور الصباح وآلمني ظهري، فتذكرتها، لا بد أنها تتألم لأنها تحمل طفلًا في بطنها طوال اليوم ولمدّة تسعة أشهر متواصلة حتى وهي نائمة.

هزت «كوكي» رأسها في حزن كذلك وقالت هي أيضًا:

-أتعلمين يا أمي، منذ قليلٍ كانت معدتها تؤلمها، وسمعتها تخبر جدتي أنها لا تستطيع النوم على جنبها، وتشعر بألم شديد في قدمها، وأن ظهرها يؤلمها، وظلّت جدتي تدعو لها كثيرًا.

هل أتعبناكِ هكذا يا أُمي أيضًا ونحن في بطنك؟

قالت أمهما:

-نعم كنت أتألم، لكنني نسيتُ كل شيء عندما رأيتكما، وكانت فرحتي بكما حلاوتها أكبر من أيّ ألم.

انحنى «مهنّد» وقبّل يد أُمه وقال بأدب:

-لن أُغضبك أبدًا يا أُمي أنتِ حبيبتي وقرّة عيني، سأبرّك كما يفعل أبي مع جدّتي.

ابتسمت الأمُّ بحنان وقالت:

-وسأدعو لك كما تدعو هي لأبيك، أنت قرّة عيني يا حبيبي، وأنت أيضًا ولدٌ صالحٌ ومؤدب.

صاحت «كوكي»:

-وأنا يا أمي، لن أغضبك أبدًا يا حبيبتي.

سأشرب اللبن وآكل الخضروات المفيدة وأقلل من أكل الحلوى التي تسوس أسناني، وأرتّب غرفتي كل يوم، وأنتهي عن مشاكسة جارتنا كل حين بدق جرس بيتهم، وأساعدك دائمًا كما تفعلين مع جدتي.

احتضنتهما أمهما وقبلتهما بمحبة بالغة.

ومرت الأيام،

وجاء يوم ولادة العمّة،

كانت تتألّم وتبكي، وكانت الجدّة أيضًا تبكي لبكائها.

اقترب «مهنّد» من والده الذي يعمل طبيبًا وقال له:

-أبي، لا بد أن تساعد عمّتي فهي تتألم كثيرًا وجدّتي تبكي بحرقة،

أرجوك أخرج الطفل من بطنها الآن، فقد انتهت التسعة أشهر، أليس كذلك؟

قال الأب مطمئنًا «مهنّد»:

-لا تقلق يا «مهنّد»، فنحن ذاهبون حالًا إلى المستشفى.

قال «مهنّد»:

الحمد لله، فأنا قلق على عمتي جدًا.بكت «كوكي» حين سمعت عمتها تتألم من جديد، فمسح الأب دموعها وقال:

-لا تبكِ يا «كوكي».

وادعِ الله تعالى برحمته أن يهوّن على عمتك الألم ويعينها على أن تتحَمّله فالله رحيم قريب مجيب الدعاء يابنتي، وتأكدي أنها فقط لحظات قليلة ثم ستنسى هي كل هذا الألم عندما ترى الطفل الجميل بين يديها إن شاء الله، إنّها رحمة الله التي وسعت كل شئ.

هنا قالا معًا في نَفَسٍ واحد:

-يا رب.

وانطلق الجميع في طريق المستشفى.

بعد ساعات في أحد المستشفيات ولدت العمّة «إيمان» طفلة صغيرة جميلة، وكان الجميع فرحين، وأكثرهم سعادةً كانت «كوكي»، جسلت مبتسمة إلى جوار صديقتها الجديدة ولم تفارقها لحظة.

خرج الدكتور «عمرو» والد «مهنّد» من غرفة العمليات وهو يحمل الطفلة الصغيرة، قرّب أذنها اليمنى من فمه وقال:

اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر

اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر

أشهد أن لا إله إلا اللّٰه

أشهد أن لا إله إلّا اللّٰه

أشهد أنّ محمدًا رسول اللّٰه

أشهد أنّ محمدًا رسول اللّٰه

حيّ على الصلاة

حيّ على الصلاة

حي على الفلاح

حي على الفلاح

اللّٰه أكبر

اللّٰه أكبر

لا إله إلّا اللّٰه.

تعجّب «مهنّد» وقال لعمته «هند» التي كانت تقرأ القرآن وتدعو كثيرًا لشقيقتها:

-عمتي «هند» إن أبي يؤذن في أذن بنت عمتي الجديدة! وليس هذا وقت صلاة!

أدار والد «مهنّد» الطفلة حتى أصبحت أذنها اليسرى أمام فمه هذه المرة وقال:

الله أكبر الله أكبر

اشهد أن لا إله إلّا الله

أشهد أنّ محمدًا رسول الله

حي على الصلاة

حي على الفلاح

قد قامت الصلاة

قد قامت الصلاة

الله أكبر

الله أكبر

لا إله إلّا الله

تعجّبت «كوكي» هي الأخرى وقالت:

-أخبرينا يا عمتي ماذا يفعل أبي؟

قالت عمتهما «هند» والتي كانت تنصت إليهما وهما يتساءلان:

-إنّها سنّة يا حبيباي؛ أن يؤّذن للطفل في أذنه اليمنى بالأذان الأول، يؤذن في أذنه اليسرى بالأذان الثاني أذان الإقامة، حتى يكون أول صوت يسمعه المولود هو نداء الصلاة، هكذا علّمنا النبي صلى الله عليه وسلّم.

في تلك اللحظة اقترب «محمد» زوج العمّة «إيمان» من ابنته الرضيعة وأحضر تمرة وليّنها بفمه ومسح بها فم الصغيرة من الداخل ولسانها.

سأله «مهنّد» باهتمام وهو يحاول أن يشبّ على أطراف أصابعه ليرى وجه المولودة:

-كيف تضع التمرة في فمها وهي صغيرة هكذا! أخبرتني عمتي «إيمان» أن الرضع لا يشربون إلا اللبن!

-السنَّة أن يُحنَّك المولود عند ولادته بتمر ليّن، ثم يدلك به حنك المولود، أي فمه من الداخل، ويفتحه بأصابعه بلطف حتى ينزل إلى جوفه شيء من عصارة التمر، فالتمر مفيد جدًا يا بنيّ، به الكثير من الفيتامينات والسكريات، وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلّم مع عبد الله بن أبي طلحة وهو مولود.

حملت الجدّة الطفلة بين يديها وجلست تتأمّلها وهي سعيدة، ثمّ نادت على حفيديها وقالت:

-الحمد لله على نعمته الكبيرة، أخيرًا وبعد طول انتظار لأشهر طويلة ها هي ابنة عمّتكما الصغيرة يا أحباء قلبي.

نظرت كوكي إلى الطفلة ولاحظت أن يدها صغيرة جدًا جدًا فقالت:

-جدتي، إن أصابعها صغيرة جدًا، تشبه أعواد الكبريت! وعيناها ضيقة جدًا كأنها مغلقة لا تنفتح! ولسانها دقيق جدًا كما لو كان لسان قطة! وحتى أنفها يا جدتي! صغير جدًا كأن مكانه مجرد ثقبين أو نقطتين!

ضحكت الجدّة وقالت بحنان:

-نعم حبيبتي صدقتِ، وأنتِ كذلك كنتِ صغيرة جدًا جدًا مثلها وكذلك والدك، كل الكائنات تولد صغيرة ثم تكبر.

ضحك مهنّد وقال:

- أنظري يا «كوكي»!! ليس لديها أسنان حقًا كما قالت عمتي «إيمان»!

ابتسمت «كوكي» وقالت:

-لكنّها جمييييلة جدًا، وأنا أحببتها كثيرًا.

ما اسمها يا جدتي؟

قالت الجدّة:

-أسماها والداها «نيروز».

صفق «مهنّد» وصاح قائلًا:

-مرحبًا وأهلًا بـ«نيروز» الصغيرة.

وقالت «كوكي» وهي تنظر إلي قريبتها الجديدة بحنان:

-وسأناديكي بـ «روزي» يا نيروزتي العزيزة.

بعد أسبوع قام زوج العمّة بذبح شاةٍ، وأعدّت الجدة وليمة كبيرة.

عرف «مهنّد» حينها أنها سنّة عن النبي صلى الله عليه وسلّم، يطلق عليها «العقيقة»، تذبح فيها شاة لو كان المولود بنتًا، وشاتان لو كان ولدًا، ثم تطبخ وتقام الوليمة بما لذ وطاب من الطعام وتكون على شرف المولود الجديد، اقتداءً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقربة إلى الله تعالى، وإدخالًا للسرور على الأهل والجيران، وشكرًا للنعمة الإلهية العظيمة.

وقام الجدّ بدعوة كل الأقارب والأهل، الأخوال والخالات والأعمام والعمات وكل الأطفال

والجيران وحارس العقار «عم حسين» وبائعة الخبز المسكينة «أم أحمد» كذلك، فشر طعام الوليمة تلك التي يدعى إليها الأغنياء ويُتْرَكُ الفقراء.

وأحضر والد «نيروز» الكثير من الزينة والحلوى الجميلة والهدايا والألعاب للصغار، ووزعت العمّة «إيمان» على الأطفال كذلك أكياسًا ممتلئة بالحلوى والحمص والشوكولاته والبالونات والصفارات الملونة، وفرح الجميع وكانت زينةُ البيت رائعة.

اقترب «مهنّد» من المولودة الجديدة وصاح فجأة:

-يا إلهي! أين شعرها!

صاحت «كوكي»:

-ماذا! أين شعرها يا عمتي؟ لقد كان هنا يوم رأيناها بالمستشفى؟

قالت العمّة «إيمان»:

-لقد حلقنا لها شعرها بعد أن ذبحنا العقيقة، فحلق شعر المولود أمرٌ مستحبٌ عن النبي صلى الله عليه وسلّم، وقد قام أبوها بحلق شعرها ووَزَنَه بالميزان وتصدّق على الفقراء بمثل وزنه من الفضّة.

أتعلمان قصّة «الحسن» حفيد الرسول صلى الله عليه وسلّم وابن ابنته «فاطمة» والتي تزوجها ابن عمّ النبيّ «علي بن أبي طالب»؟

قال «مهنّد» و «كوكي» بصوت واحد:

-لا.. نحن لا نعرفها، إحكيها لنا يا عمتي.

قالت العمة بحنان:

-حسنًا سأخبركما بها.

عن علي رضي الله عنه أنه قال: «عقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن بشاة (أي ذبح شاة بعد مولده)، وقال: يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة، فوزنَّاه فكان وزنه درهماً أو بعض درهم.

مرت شهور،

كان «مهنّد» و«كوكي» يراقبان الطفلة كلّ يوم عندما يذهبان إلى بيت جدتهما، وكانا يغنيان لها، ويجلسان بجوار فراشها وقتًا طويلًا.

عندما بلغت شهرها الثالث أصبحت تضحك لهما، ثم بلغت شهرها السادس وبدأت تحبو على أربع، ثم صارت تكبر وتكبر يوماً بعد يوم وهما يراقبانها ويقيسان طولها كل شهر بشريط القياس الملون المثبت على الحائط.

واليوم هما ذاهبان إليها بحلوى تحبها كثيراً فقد نمت أسنانها أخيرا وصارت تمضغ الطعام، لعبا معها وضحكا بسعادة.

كان يومًا جميلًا، وجاء وقت العودة إلى البيت، تركاها وقد نامت في براءة في فراشها الصغير، وودعا عمتهما وانصرفا عائدين لبيتهما.

وفي السيارة، اقتربت «كوكي» من أخيها «مهنّد» وهمست قائلة:

-«مهنّد» ألم تلاحظ شيئًا! عمّتي «سمر» أيضًا أصبحت بطنها كبيرة ومستديرة!

ضحك «مهنّد» وقال:

-بلى لاحظت يا «كوكي» بالطبع، يبدو أن عمتي «سمر» ستنجب لنا قريبًا مولودًا جديدًا، سمعتها تقول أنها ستسمي المولودة إن شاء الله «كرمة»

صاحت «كوكي» بفرح:

-هيييييييه.. الحمد لله.

..تمت..

فانوس ملك

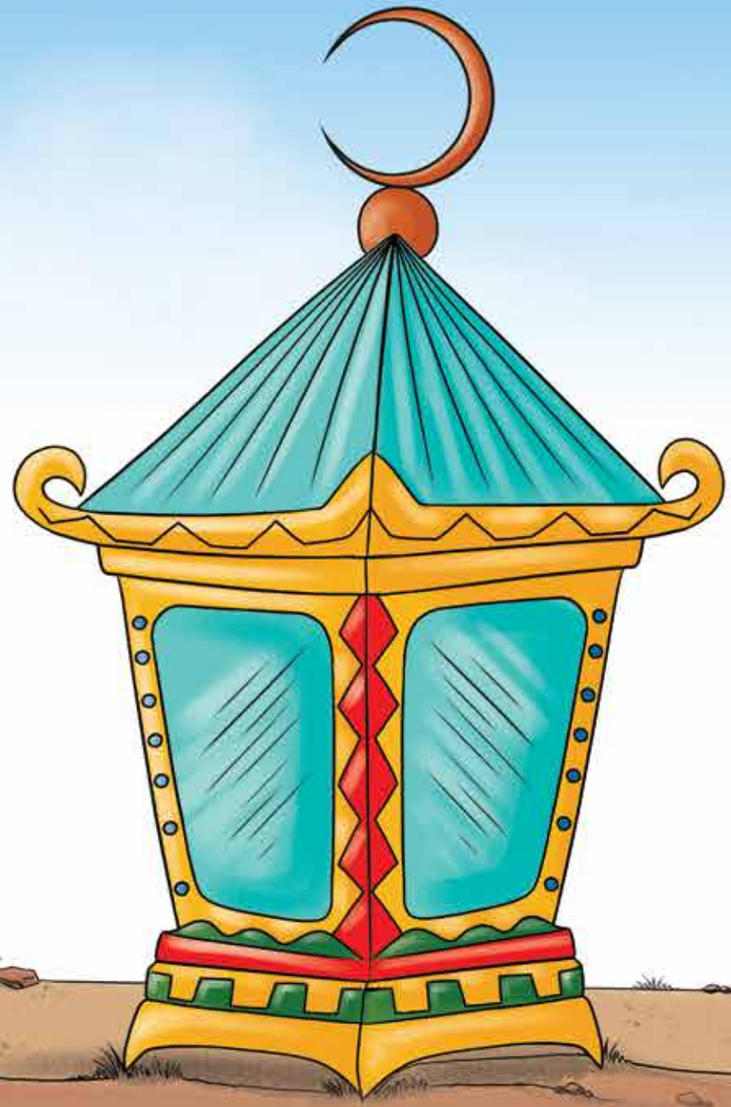

في أحد الأيام، كانت الجميلة «مَلك» تلعب بعرائسها في غرفتها،

دقّت الساعة معلنة أنها العاشرة تمامًا. قامت «مَلك» بعد أن نادتها أُمّها وأخبرتها بأن تقوم بتنظيف أسنانها، فقد حان وقت النوم.

انتهت «مَلك» من تنظيف أسنانها الدقيقة، وبحثت عن أُمّها في البيت فلم تجدها!

صاحت «ملك»:

-أمي... أمي... أين أنتِ يا أمي؟!

ثم وجدتها أخيرًا واقفة في الشرفة تنظر مليًا إلى السماء تتأمّلها جيدًا.

اقتربت «مَلك» من أُمّها وسألتها:

-لماذا تنظرين إلى السماء هكذا يا أمي؟

قالت أُمّها وما زالت عيناها تراقبان السّماء:

-يبدو أن «رمضان» سيتأخر يومًا.

كادت «ملك» تسأل أُمّها عن «رمضان» هذا الذي سيتأخر، لكن جرس الهاتف قطع حوارهما.

ترررررن... ترررررن...

طلبت الأم من ملك أن ترد على الهاتف.

أسرعت «مَلك» ورفعت سمّاعة الهاتف،

لقد كان والدها هو المتصل وأخبرها أن تنادي أمها بسرعة.

أسرعت «مَلك» وقالت لأمها:

-أمي أمي، إن أبي يريدك على الهاتف سريعًا.

أسرعت الأم إلى الهاتف فورًا وبعد أن استمعت لكلام زوجها على الهاتف والذي قال:

-سيتأخر «رمضان» حتى يوم الأربعاء يا «شيماء».-ماذا تقول؟ «رمضان» سيتأخر حتى يوم الأربعاء! حسنًا لا تقلق يا «محمد» سأهتم بكل شيء وسأرتب أموري غدًا صباحًا لكي نستقبله جميعًا في موعده إن شاء الله.

تعجبّت «ملك» وتساءلت، من هو «رمضان» هذا؟

ولماذا يهتم أبي وأمي بقدومه هكذا؟

هل هو من أقاربنا؟

وهل هو رجلٌ، أم شابٌ، أم طفل صغيرٌ مثلي؟

انتبهت أمّ «مَلك» أن الوقت قد تأخّر فقالت لابنتها بحنان:

-هيّا يا حبيبتي، أسرعي إلى فراشك ولا تنسي دعاء النوم.

قبّلتها «ملك» واحتضنت دميتَها «محبوبة»، ونامت على جانبها الأيمن وقالت:

-بِسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين..

ثم رتلت آية الكرسي وأغمضتْ عينيها البريئتين.

ابتسمت والدتها، وخرجت من غرفتها وهي تدعو لها أن يجعلها الله من المؤمنات الصالحات.

رأت «مَلك» وهي نائمة فانوسًا أبيض جميلًا، في داخله شمعة بيضاء، وعلى زجاجه الملون نقوشٌ حمراء، وصفراء، وخضراء، وزرقاء.

كان الفانوس يضحك وينادي عليها:

-يا «مَلك»... تعالي معي.. نلعب سويًا ونملأ الدنيا بالنوووور.

فركتْ «مَلك» عينيها مندهشة وسألته وهي تتعجب:

-أنا؟

قال بمرح:

-نعم... أنتِ... أنتِ هيا بنا.. هيا!!!!.

ركضت «مَلك» مع الفانوس بعد أن أمسكها من يدها، ودخلا إلى مسجد كبير رائحته حلوة وتملأ النفس بالسعادة.

كان المسجد ممتلئًا بالأطفال، وجميعهم في عمر «مَلك»، اقتربت «مَلك» من بنتٍ جميلة ترتدي فستانًا أنيقًا، وجلست بجوارها وسألتها بأدب:

-كيف أتينا إلى هنا ؟ ومن هؤلاء؟

أجابتها الطفلة وهي تضحك:

-رمضان سيأتي بعد قليل.

ارتفعت أصوات الأطفال وصاحوا جميعا بمرح ينشدون:

أهلًا رمضان، أهلًا رمضان.

تعجبّت «مَلك»! كل الأطفال يعرفون «رمضان» إلّا هي! تُرى من هو «رمضان» وما شكله؟

هل ملابسه ملونة أم بيضاء؟

هل شعره مثل أبي أم مثل شعر عمي أحمد؟

و مالون عينيه يا ترى؟

يشبه مَن مِن الناس؟

هل يذهب إلى المدرسة؟

لا أقوى على الانتظار، سأسأل صديقتي تلك مرة أخرى.

همست «مَلك» للبنت الجميلة التي بجوارها وسألتها:

-من هو «رمضان»؟

التفتت «مَلك» فجأة بالقرب من صديقتها، فقد أجابتها فتاة جميلة جدًا ترتدي رداءً رائعًا أبيض أكمامه واسعة، وقالت وهي تمسح على رأس«مَلك» بحنان:

-«عمّ رمضان» رجل طيّب يا «مَلك» يأتي لزيارتنا كلّ عام مرّة ويُحضر معه الكثير من المفاجآت، وقبل أن يرحل يترك لنا كنزًا عظيمًا.

سألتها «مَلك»:

-ومن أنت؟

قالت الفتاة الجميلة ذات الرداء الرائع:

-أنا «صلاة التراويح».

تعجبت ملك و زادت حيرتها أكثر!

ثم أشارت «مَلك» نحو سيدة طيبة الوجه تجلس في وسط المسجد وحولها الصغار يرتلون القرآن، وسألت «صلاة التراويح»:

-ومن هذه السيدة العظيمة؟

أجابتها الفتاة الجميلة وقالت لها:

-إنّها ليلةُ القدر... ألا تعرفينها!

هزّت «مَلكُ» رأسها يمينًا و يسارًا وقالت:

-لا... لا أعرفها.

فهي حقًا لا تعرف عمّ رمضان، ولا صلاة التراويح، ولا ليلةَ القدرِ.

وفجأة! قام الجميع، و اجتمعوا عند نوافذ المسجد، ونظروا جميعًا إلى السّماء.

قامت «مَلك» وركضت نحو باب المسجد، لأن النوافذ كلها كانت قد ازدحمت ولم يعد لها مكان لترى منه ما ينظرون إليه.

وقفت بجوار باب المسجد الخشبي الكبير ونظرت بالخارج، فرأت موكبًا كبيرًا يقترب من بعيد، خرج الأطفال جميعًا من المسجد، ومعهم الفوانيس التى أضاءوها فأصبح الطريق متلألئًا بالأضواء الملونة.

ضحكت «مَلك» فقد أعجبها شكل الأضواء كثيرًا، ورفعت رأسها معهم، ووقفت تنظر إلى السماء، الكلُّ يراقب النجوم، ويبحث عن شيءٍ ما في السماء.

أحسّت «مَلك» أن الأرض من تحتها تهتزّ، وجاء صوت أُمّها من بعيد، لا تدري متى ظهرت معها في هذا الحلم الجميل! و راحت تناديها :

-مَلك، مَلك، استيقظي يا حبيبتي، هيّا يا طفلتي الجميلة.

فتحت«مَلك» عينيها، ونظرت إلى أُمّها وهي تتعجب!

لقد كان حلمًا جميلًا وكانت تنتظر أن ترى «عمّ رمضان»، لكن أمّها أيقظتها قبل أن تراه.

مرّ اليوم وأمّ مَلك مشغولةً في المطبخ، سمعت «مَلك» صوت أقدام عمّها على الدرج، فاستأذنت من أُمّها لتسلم عليه، وأسرعت وفتحت الباب وقالت له بعد أن حيّته بأدب:

-عمي، هل «رمضان» سيأتي اليوم؟

ابتسم عمّها وقال لها:

-اللّه أعلم يا «مَلك» لا بد أن نرى الهلال أولًا، ربما اليوم، ربما غدًا.

تعجبّت «مَلك»! وتساءلت في نفسها ما علاقة الهلال الأبيض الذي في السماء بـ «عم رمضان»!

أغلقت باب البيت وأسرعت إلى الهاتف الذي كان رنينه يتردد في البيت.

ترررن.. تررررن..

صاحت تسأل أمها:

-«أمي، هل أرد على الهاتف؟»

و أتاها صوت أمها بالموافقة، رفعت ملك االسماعة و قالت:

- «السلام عليكم»

إنّها خالتها «إيمان»، والتي سألتها «مَلك» بأدب وحبّ:

-خالتي، متى سيأتي «رمضان»؟

قالت خالتها «إيمان» وهي تضحك:

-إن شاء اللّه غدًا، راقبي السماء يا «مَلك»، واستعدي لنستقبله استقبالًا مشرّفًا.

ازدادت حيرة «مَلك» وفكرت أن تسأل أولاد عمها «أحمد» و«رولا» فهما أكبر منها عمرًا وأكثر خبرة، لكنها في النهاية قررت أن تسأل أمها عن الأمر كلّه، فهي دائمًا تجيب عن كل أسئلتها ولن تسخر من جهلها أبدا.

دخلت «مَلك» إلى المطبخ، وجلست بجوار أُمّها، وقالت وهي تتعجب:

-أمي! ظننتك تطبخين، ما هذه الأوراق!

قالت أمّها:

-هذا جدول الطاعات يا حبيبتي، لا بد أن نستغلّ شهر رمضان هذا العام، لا نريد أن نضيّع الفرصة، وأما الطعام فسأعدّه غدًا إن شاء اللّه، فكل أفراد العائلة سيفطرون معنا غدًا إن شاء اللّه إن ثَبتت رؤية هلال شهر رمضان المبارك.

قالت«ملك» بدهشة بعد أن جلست بجوار أُمّها:

-شهر! هل رمضان شهر؟! ظننته رجلًا عجوزًا طيبًا!

ضحكت الأمّ من براءة «ملك» وقالت:

-لا يا حبيبتي، رمضان شهر من الشهور العربية، ثلاثون يومًا أو تسعة وعشرون، تبدأ ككل الشهور عندما يختفي جزء كبير من القمر ولا يظهر منه إلا الهلال الأبيض، فيكون هذا ميلاد شهر «رمضان»، ويظل الهلال يومًا بعد يوم يكبر حتى يصبح نصف دائرة، ثم يزيد حتى يكتمل ويصبح الهلال قمرًا جميلًا ومستديرًا في نصف الشهر، ويبدأ في التناقص مرّة أخرى ليصبح هلالًا فينتهي الشهر

ثم يبدأ شهر عربيّ جديد. وشهر رمضان نصوم فيه لأن هذا من أركان الإسلام الخمسة هل تعرفينها؟

قالت «مَلك» بحماس:

-نعم أعرفهم حفظتهم مع أصدقائي في المدرسة:

شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله

إقام الصلاة

إيتاء الزكاة

صوم رمضان

حج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

ضحكت الأم وقالت:

-ما شاء الله، بارك الله فيكِ يا ابنتي، إذن أنت تعرفين أن رمضان ركن من أركان الإسلام الخمسة، فلماذا تخيلتينه رجلًا عجوزًا؟

قالت «مَلك»:

- لا أعلم، رأيتكم تتكلمون عنه وكأنه ضيف عزيز سيأتينا، فخمنتُ أنه رجل طيب من معارفنا، كنت أحلم الليلة به وبصلاة التراويح، وتحدثت إلى الفانوس الملون الرائع في الحلم يا أمي.

ضحكت «مَلك» وضحكت أمّها ورن جرس الهاتف مرّة أخرى.

ترررررن.. ترررررن

إنّها الجدّة، كانت تخبر «مّلك» أنّها ستأتي الليلة لتبيت معها وتنام بجوارها وتحكي لها حكاية قبل النوم كما عوّدتها.

فرحت «مَلك» وقفزت وصفّقت وصاحت:

-أحبّ رمضان.. أُحبّ رمضان كثيييييرًا

عاد والد «مَلك»وكان يحمل كيسًا كبيرًا فيه تمر، حملت «مَلك» كيس التمر وسارت بجوار والدها وقالت:

-لماذا كلّ هذا التمر يا أبي؟

قال والدها:

-لا بد أن نتسحر به ونفطر عليه لأنه يقوّي البدن كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلّم، فنحن لن نأكل ولن نشرب طوال النهار من أول أذان الفجر وحتى يؤذن للمغرب، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلّم، من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

والتمر مفيد جدًا للصائم، والإفطار عليه سنّة غالية يا حبيبتي.

سألته «مَلك»:

-ولماذا لا نأكل ولا نشرب؟

أجابها والدها:

-طاعة لله، وحتى نشارك الفقراء شعورهم بالجوع والعطش، فترقَّ قلوبنا ونحنو عليهم ونتصدق ونطعمهم مما أعطانا الله.

قالت «مَلك»:

-أريد أن أطعم الفقراء يا أبي، أرجووووك، هل من الممكن أن تعطيني نقودًا لأشتري لهم طعاما ؟

أجابها والدها :

-طبعًا يا «مَلك» وستعد أُمك الطعام بنفسها ونوزعه معًا كل يوم.

وفي آخر يوم من رمضان، عندما يأتي وقت الجائزة الكبرى حين ينظر الله إلينا ويغفر لنا إن شاء الله بعد صيامنا الشهر كله وإخراج زكاة الفطر، ونفرح بعيد الفطر المبارك، سنشتري إن شاء الله لبعض الفقراء ملابسًا للعيد ونهديها لهم وندخل عليهم السرور.

ابتسمت «مَلك» وقالت لوالدها :

-سأصوم معكما يا أبي، وسأتسحّر بالتمر واللبن.

ربّت الأب على كتفها وقال بحنان :

-إن شاء الله يا ملك، حسب طاقتك تصومين، ولنبدأ بالصوم حتى أذان الظهر، ثم حتى أذان العصر، وإن شاء الله يقويك الله وتكملين حتى أذان المغرب.

ثم تذكرت ملك فجأة صلاة التراويح التي رأتها في الحلم و ليلة القدر كذلك، فسألت والدها :

-وما علاقة صلاة التراويح برمضان؟ و ما هي ليلة القدر؟

قال والدها وقد أعجبه السؤال:

-كلّ ليلة من ليالي رمضان نصلي صلاة تسمى صلاة التراويح، وسميت هكذا لأننا نرتاح بين كلّ ركعتين، وهي ثماني ركعات تصلى بعد صلاةِ العشاء، وكلّ ليلة يعتق الله عزّ وجلّ مجموعة من المسلمين من النار، وآخر عشر ليالٍ من رمضان هناك ليلة تختبيء بين الليالي اسمها «ليلة القدر»، العبادة فيها تساوي عبادة ألف شهر، من قام فيها وصلى ودعا الله وقرأ القرآن غُفر له ما تقدم من ذنبه.

قالت ملك وقد انبهرت كثيرًا من كرم الله:

-كل هذه الحسنات يا أبي!! إنها كالبحر!!

فقال لها والدها:

- لذلك فإن شهر رمضان هو شهر الرحمات والكرم العظيم، لأنه شهر ليس كأي شهر، هذا شهر أنزل فيه القرآن.

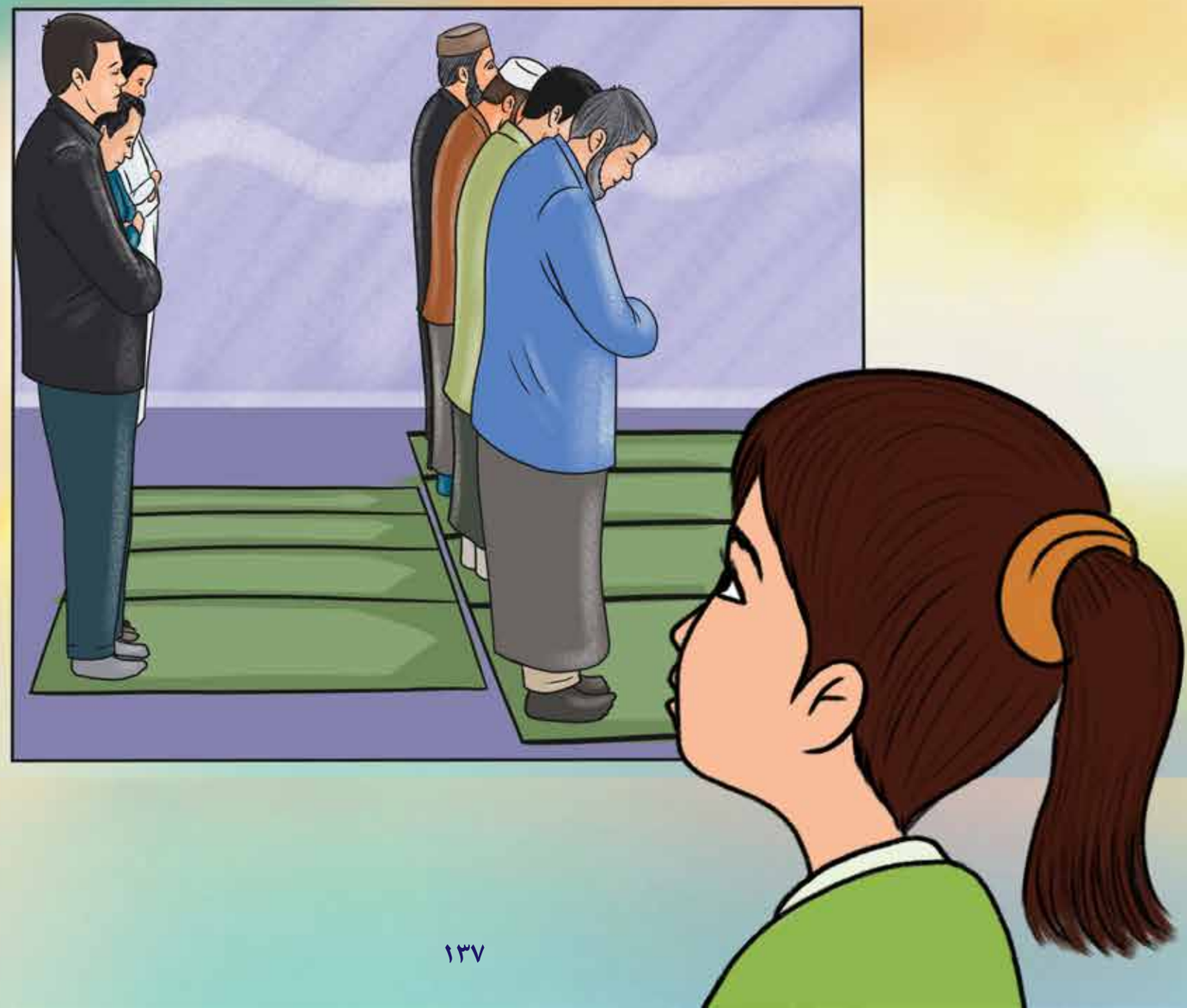

مرّ الوقت ووصلت الجدّة، وكانت المفاجأة التي أسعدت ملك كثيرًا، أنها اشترت لها فانوسًا يشبه الفانوس الذي رأته في حلمها تمامًا!

أضاءت «مَلك» الفانوس وجلست تستمع إلى جدّتها وهي تحكي لها عن فضائل شهر رمضان العظيم وتريها الآيات التي تحدثت عنه في القرآن.

في يوم الأربعاء ليلًا نادت أم «مَلك» عليها وقالت:

-مَلك، مَلك، تعالي وانظري، لقد ظهر هلال رمضان يا قرّة عيني.

ركضت «مَلك» نحو الشرفة ونظرت إلى السماء ورأت الهلال الأبيض يتوسّط السماء ويضيء بشكلٍ جميلٍ ووضّاء،

فاتسعت عيناها دهشةً وفرحًا، وصاحت:

-أُحبُّ رمضان.. أُحبُّ رمضان كثيرا يا أمي.

قالت أُمّها وهي تحتضنها بعد أن قبّلتها على رأسها:

-وأنا كذلك يا حبيبتي أحبه وأحبكِ جدًا جدًا.

كل عام وأنتِ إلى الله أقرب وعلى طاعته أقوى.

..تمت..

عبد المؤمن يفكر

في أحد الأيام المُشمِسة في فصل الربيع، حيثُ تزدهرُ الأزهار فوق أغصانِ الأشجارِ الوارِفة وتطيرُ الفراشاتُ في الحقول والحدائقِ ابتهاجًا بجمال الربيع، كان «عبد المؤمن» يجلسُ بجوارِ أُمّه في شُرفة البيت أمامهما الحديقة، وهي تحكي له عن الجنّة وظلالِها وأنهارِها وحدائقِها المُبهجة ونسيمها العليل، وكيف أن الإنسان المسلم الصالح الذي يعبد اللّه حقّ عبادته يدخلها بسلام. ثم سَرح بخياله وهو يراقب تلك الطبيعة الجميلة من حوله من شُرفة البيت وأمه تقرأ الآية:

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) (سورة محمد: ١٥)

وما إن أنهت أمه قراءتها حتى قال «عبد المؤمن» بعد تفكير عميق:

- أُريد أن أرى الجنّة الآن يا أمي، اشتقت إليها وإلى زينتِها الجميلة.

ابتسمت أُمّه وقالت بحنان:

- لا نستطيع أن نراها الآن يا حبيبي، سنراها جميعًا يوم القيامة- إن شاء اللّٰه- جعلنا اللّٰه من أهلها.

أخذ «عبد المؤمن» المُصحف من يد أمه وبدأ يقرأ مرة أخرى الآية التي كانت أُمه تقرأ له منها وصف الجنّة:

- أنهارٌ من لبنٍ! وأنهارٌ من عسل!

وأنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ! ما معنى (غير آسن) يا أمي؟

قالت أُمه وقد أعجبها أنه يسأل:

- معناها يا ولدي أنه لم يتعكّر ولم يتغير طعمه، فهو ماء نقيّ وصافٍ وعذبٌ جدًا جدًا.

ابتسم «عبد المؤمن» بسعادةٍ، وعاد للآية يقرأ

منها مرّة أخرى وقال:

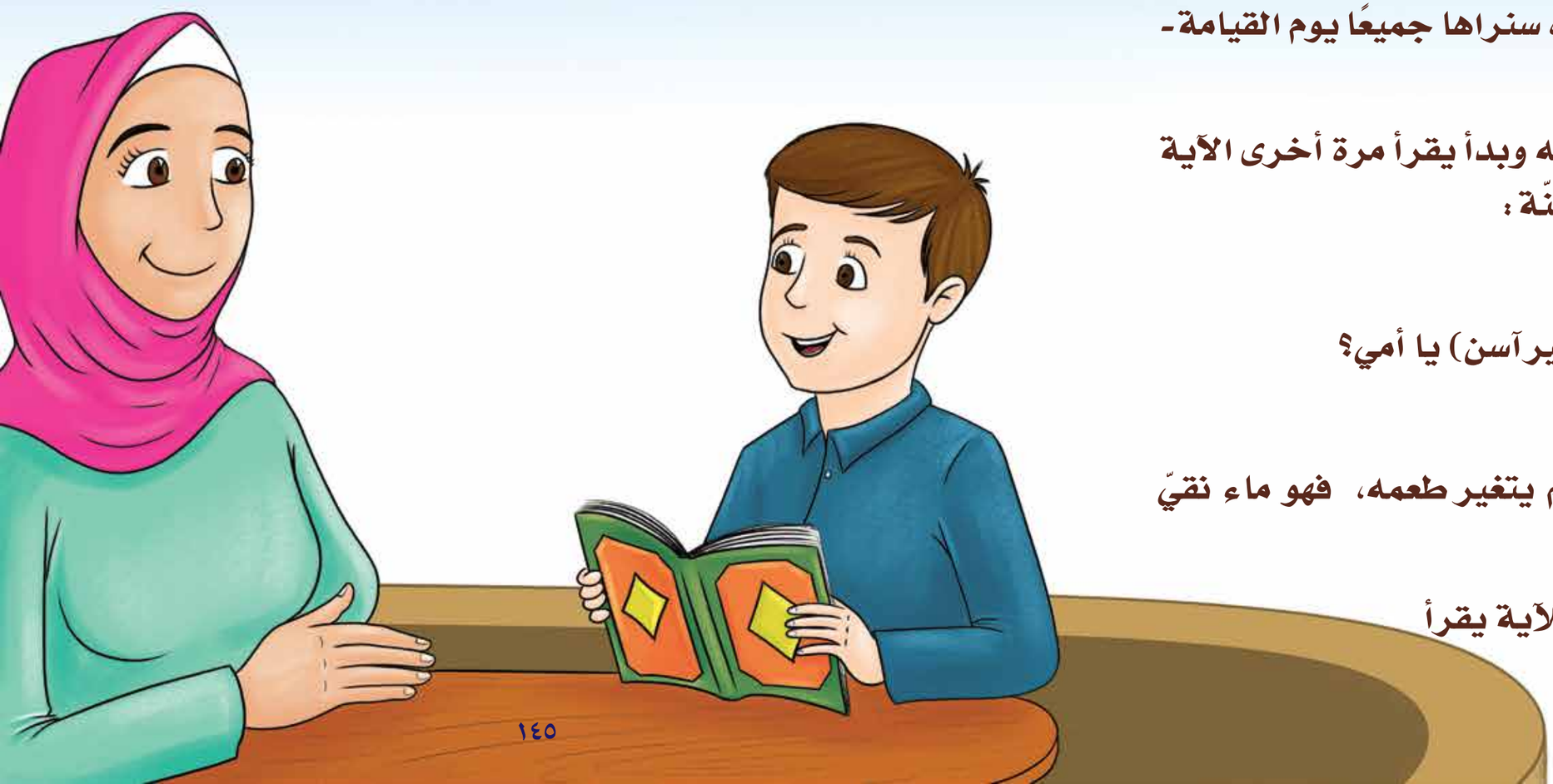

-أنهارٌ من خمْر!... يا إلهي! ألم تخبريني أن الخمر حرام يا أمي؟

قالت الأم بجديّة:

-نعم يا ولدي هي حرامٌ، لكنَّ خمر الجنّة ليس كالخمر الذي يشربه العُصاة في الدنيا، فهي لا تُذهب العقلَ ولا تجعل من يشربها مجنونًا كما يحدث من خمر الدنيا.. ألم تسمع معي في نشرة الأخبار عن ذاك الرجل الذي قاد سيّارته وهو سكرانٌ وصدم سبعةً من المارّة فقتلهم، منهم امرأةٌ وطفلٌ؟

قال «عبد المؤمن» وعلى وجهه علامات الأسف والحزن:

-نعم يا أمي، أحزنني موتهم وموت هذا الطفل كثيرًا.

قالت الأم لتخفف عنه:

-لا تحزن بنيّ.. هو في الجنّة إن شاء الله، فقد رُفِعَ عنه القلم.

سألها «عبد المؤمن»:

- وما معنى هذا يا أمي؟

أجابته الأُم:

-أي رفعت الملائكةُ أقلامَها عنه بأمر من الله فهم لا يكتبون له سيئات في صحيفته لأنّه صغير ولم يبلغ أو يعقل بعد، فإن مات فالله برحمتِه يدخله الجنة، والله يا حبيبي أرحم به من أمّه التي ولدتْهُ، كما أنّه عز وجلَّ أرحم بك يا «عبد المؤمن» مني أنا.

والجنة يا ولدي يكرم الله فيها عباده المؤمنين بأنواع النعيم. فمثلًا كُلُّ ما ستشتهيه نفسُك المؤمنة يا بنيّ ستجده في الجنة إن شاء الله قبل حتى أن تتكلم وتطْلبه.

قال «عبد المؤمن»:

-الحمد لله أنّ الله خلق لنا الجنّة...ولكن.

أمسكت أمّه بذقنه واقتربت منه وسألته:

-ولكن ماذا يا حبيبي، ما بك؟

قال «عبد المؤمن»:

-أريد أن أرى الجنّة حتى أصدق أنها موجودة بالفعل.

فكّرت الأمّ بسرعة، ثم قامت ونادته ليلحق بها إلى المطبخ وكانت تضحك، وبدأت تعد له طعامًا شهيًا.

بعد قليلٍ كانت رائحة الطعام الشهيّ تملأ المنزل.

جلس «عبد المؤمن» على كرسيٍّ بجوار مائدة الطعام وقال لأمّه:

-أمي أمي.. هيا هيا!...

أرجوكِ أحضري الطعامَ فأنا جائعٌ جدًا... جاااائع.

قالت الأمُ في الحال:

-هل أنت جائع؟

قال «عبد المؤمن»:

-جدًا يا أمي، أقول لكِ أنا جاااائع جدًا!

قالت أُمّه:

-لكنني لا أرى الجوع! هل ترى الجوع؟ أين هو هذا الجوع الكبير؟!

أريد أن أمسكه بيدي وأراه بعيني وأسمعه وهو يصرخ في بطنك!

-يا أمي الجوع لا يُرى، أنا فقط من يشعر به الآن.

ابتسمت الأم وقالت:

-تُريد أن تقنعني أنه موجود لكنّي لا أراه؟

ابتسم «عبد المؤمن» ابتسامة واسعة وهزّ رأسه موافقًا ومسح بيده على معدته التي كانت تُقرْقِر وقال:

-نعم موجودٌ أقولُ لكِ.. صدقيني.. وأريد أن آكل حالًا..

مدت الأم يدها بالطعام لابنها الذي قال قبل أن يبدأ الأكل:

-بِسم الله

تركته أُمّه يأكل ووقفت إلى جواره تراقبه وربّتت على كتفه بحنان، وبعد أن أنهى طعامه قال:

-طعامك شهيٌّ ولذيذ يا أمي، الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حَولٍ مني ولا قوة.

ثم صاح قائلًا:

-والآن عطشان يا أمي...عطشان..

أعطني بعضًا من الماءِ من فضلك.

نظرت إليهِ أُمّه وقالت:

-وأين هذا العطش؟! أنا لا أرى عطشًا يجري في الغرفة أمامي أو يصيح؟! هل حقًا أنت عطشانٌ بنيّ؟!

أُريدُ أن أُمسك العطش بيدي وأراه بعيني!

قال «عبد المؤمن» متعجبًا:

-كيف هذا يا أمي! أنت تمزحين! كيف سترين شيئًا أشعر به في داخلي فقط! إنه هنا يا أمي.

قالها وهو يشير إلي حلْقِه وأخرج لسانه مُشيرًا إليه كذلك.

قالت الأم:

-إذن أنت فعلًا عطشان، والعطش موجود لكننا لا نراه... حسنًا.

أعطته أمّه كوبًا كبيرًا من الماء البارد، فشربه على ثلاث مرات وتنفس خلالهم خارج الكوب، كما أخبره والده بأن هذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.. ثم قال بعدها وهو فرحان بالارتواء بعد العطش:

-الحمد لله، جزاكِ الله خيرًا يا أُمي، أنا أُحبّك كثيرًا.

قالت الأُمّ في الحال:

-أُريد أن أرى الحُبّ، أرجوك يا «عبد المؤمن» أخرج لي هذا الحبّ من صدرك لأراه بعيني وأمسكه وأضعه في صندوقٍ زجاجي أنيق وأُريه لصديقاتي.

ضحك «عبد المؤمن» وقال لأُمّه:

-وكيف سأخرجه لكِ يا حبيبتي، هذا مستحيل يا أمي!

قالت له أمه بابتسامة حنون:

-وكيف أصدقُ إذن أنك تحبني؟

تفكّر «عبد المؤمن» قليلًا وشعر أن أُمه تقصد شيئًا ما فسألها:

-ماذا تقصدين يا أُمّي؟ أنت تعلمين أن حبّي لك موجود يقينًا في صدري. لماذا طلبتِ مني أن أريه لك بتلك الطريقة! ألا يكفيكِ كلامي وأفعالي؟ أليس هذا دليل!.

قالت الأُمّ وهي تنظر بعمق إلى عينيه:

-أنا أُصدقك بالفعل، ورغم أنني لا أرى حبّك لي بعيني إلا أنني على يقينٍ أنّه موجود لأنني أثق بك وأُصدقك وأرى أفعالك، فإن لم أرَ الحب بعيني فأنا أشعر به، وهناك أدلّة كثيرة عليه، لكنني أردت أن....

وفجأة انقطع التيّار الكهربائي قبل أن تكمل كلامها معه، فقامت واحتضنت «عبد المؤمن»، وخرجا سويا إلى الشرفة من جديد يراقبان القمر المضيء في السماء الصّافية، دقائق معدودات وعاد التيّار الكهربائي مجددًا وأضاء الشارع والبيت بأنوار ساطعة.

فصاح «عبد المؤمن» في سعادة:

-هيييييه، الحمد لله عادت الكهرباء، عادت الكهرباء.

دخلا معًا من الشرفة إلى البيت وضحكت أمه من صياحه المبتهج وقالت:

-وكيف عرفتَ أن الكهرباء قد عادت؟

تعجب «عبد المؤمن» وأشار بيده إلى الشرفة حيث أضاءت أنوار الشارع! ثم عاد ونظر إلى المصباح المُضيء في سقف الغرفة وأشار إليه بيده الأخرى، ثم قال لأمه:

-أنظري يا أمي إلى كل تلك الأنوار! كيف لا تدركين أن الكهرباء قد عادت!؟

المصباح قد أضاء وصوت المذياع قد ارتفع من جديد، وها هي الغسالة قد عادت لتدور وتدووور، ألا تسمعين صوتهم؟!.

ابتسمت الأم وقالت لابنها:

-حسنًا إذن، الكهرباء موجودة وإن لم نرها بأعيننا..جميل.

مرت ساعة قضاها «عبد المؤمن» في الرسم والتلوين، نادته أُمّه وأعطته شيئًا، حمله بين يديه وقال متعجبًا:

-ما هذا يا أمي؟! كيس شفاف ممتليء بالهواء!؟.

قالت الأم:

-وكيف عرفت أن ما في داخله هواء؟

قال «عبد المؤمن»:

-الهواء موجود حولنا في كل مكان يا أمي وهو داخل هذا الكيس الآن.

قالت الأم:

-وهل تصدق أنه موجود رغم أنك لا تراه؟

أجابها بثقة:

-طبعًا يا أمي، لقد درسنا في مادة العلوم أن الهواء ليس له لون وأنه حولنا في كل مكان، وأنه يحتوي على أنواع كثيرة من الغازات وأهمها غاز الأكسجين الذي نتنفسه، وله خواص كثيرة، وهو من نعم الله علينا هو والماء.

قالت له أمه مفتخرة به:

-أحسنت بنيّ، وهذا ما كنت أريد أن أقوله لك قبل انقطاع التيار الكهربائي. ليس معنى أنك لا ترى الجنّة الآن أنّها ليست موجودة، هناك أشياء لا نراها بأعيننا ولكن هناك أدلة على وجودها لا يغفلها عاقل.

قال بتأثر:

-سبحان الله.. صدقتِ يا أمي.

أكملت أمه بحنان:

-الحمد لله على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، هناك يا حبيبي أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وأنا أعلم أنك تحفظهم جميعًا، هيا أخبرني بالأولى أولًا.

قال «عبد المؤمن» مبتسمًا بحماس:

-أركان الإسلام خمسةٌ:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله،

إقام الصلاة،

إيتاء الزكاة،

صوم رمضان،

حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

ابتسمت أمه وقبلته على رأسه، ثم سألته:

-و أركان الإيمان؟

قال «عبد المؤمن»:

-نعم أمي، أركان الإيمان ستة:

الإيمان باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخرِ، والقدر خيره وشره.

فقالت بفرحة كبيرة:

-ممتاز يا بنيّ.

ابتسم «عبد المؤمن» ابتسامة كبيرة ولمعت عيناه وأكملَ يسألُ أمّه ببراءة:

-هل يمكنني أن أفرقع هذا الكيس الآن؟

ضحكت الأمّ وقالت:

-ليس الآن يا حبيبي حتى لا تُفزع أخاك الصغير«عبد الرحمن» فهو نائمٌ الآن، وأنت تعلم أن النبي صلى اللّه عليه وسلّم نهى عن أن يفزع المؤمن أخاه المسلم.

أعطاها «عبد المؤمن» الكيس المنفوخ ووقف يستمع إليها.

فأكملت تقول:

والإيمان باليوم الآخر هو إيمان بكل ما عرفناه عنه من القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى اللّه عليه وسلّم،

الجنة، النار، الحساب، الجزاء، الميزان، الصراط، إنّه إيمانٌ وتصديقٌ بالغيب، وهو ما أريد أن أُحدثك عنه أكثر.

هناك يا حبيبي أمور غيبية، تغيبُ عن أعيننا، لكنّها موجودة يقينًا ولا بد أن نصدّق أنّها موجودة لكي يكتمل إيماننا، لأن من أخبرنا عنها هو الصادقُ الأمين نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلّم، وقرأنا عنها في آيات القرآن الكريم كلام اللّه الذي أنزله عز وجلّ على النبي صلى اللّه عليه وسلم وكلّفه أن يخبرنا به. ونحن معشر المسلمين نتعبد للّه بقراءته وحفظه وتصديقه.

فعليك أن تصدّق ما ذُكر في القرآن الكريم لأنه كتاب اللّه وآياته.

وإن لم تر بعينك الجنّة فتأكد أنها موجودة، واعلم أنها تتزين للمؤمنين، أسأل اللّه أن يجعلك من أهلها، وهذا هو الإيمان بالغيب.

فقد قال اللّه عزّ وجلّ في سورة النساء:

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً) النساء ١٣٦

فأنت إذا آمنت بأركان الإيمان الستة المعروفة، تكون قد أتيت بأعظم الأعمال الصالحات التي من تركها لا يدخل الجنة.

والإيمان هو التصديق،

أي قول باللسان ويقين بالقلب، وعمل بالجوارح يا ولدي.

اقترب «عبد المؤمن» من أُمّه وأمسك يدها وقبلها وقال بأدب وحب كبير:

-جزاكِ الله خيرًا يا أمي الحبيبة، وأشهدكِ أنني آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليومِ الآخرِ، وبالقدر خيره وشرّه، كما يحب ربنا و يرضى.

في تلك اللحظة انطلق أذان العشاء من المسجد القريب، فاستيقظ «عبد الرحمن» الصغير، وضحك كثيرًا وهو يراقب أخاه «عبد المؤمن» وهو يردد الأناشيد.

بعد دقائق عاد الأب إلى البيت قبل إقامة العشاء، فاصطحب «عبد المؤمن» ليصليها معه بالمسجد، وكانت المفاجأة!

كان الإمام يعلم أن «عبد المؤمن» قد أتمّ السابعة من عمره وأحب أن يكرّمه لأنه يصلي بالمسجد كثيراً فنادى عليه بعد الصلاة وأهداه سجادة صغيرة للصلاة وعطَّر كفيه بالمسك، ومسح على رأسه وأخبره أنه سينتظره كل يوم ليصلي معهم وأنّ له جائزة كبيرة إن كان ممن يصلون في الصفّ الأول.

عاد «عبد المؤمن» سعيدًا بالهدية وقرر أن يحافظ على الصلاة دومًا ليفوز بالجنة التي يشتاق إليها كثيرا.

وقبل أن ينام وعندما كانت أُمّه تغطيه وهو في فراشه همس في أُذنها وهي تقبّله وقال:

-أمّي، أنا أحبُّ اللّٰه كثيرًا وأتمنى أن أراه في الجنة.

قالت الأم:

-وأنا أيضًا يا حبيبي أحبُّ اللّٰه جدًا وأحبك كثيرا.

أسأل اللّٰه أن يجعلنا من أهل الجنّة.

..تمت..

قطار الجنة

هل تعرفون «عبد الرحمن» يا أصدقائي؟

إنه ولدٌ مؤدب وشكله جميل، نظيف جدًا ومنظّم، يحب عمل الخير، يطيع والديه، ومحبوبٌ من الجميع.

كان يقف في الشُّرفة يومًا ويتحدث مع ابن خاله «يوسف» وشقيقه «بودي»، هكذا يناودنه في العائلة حتى يفرقون بينهما فكلاهما اسمه «عبد الرحمن».

وفجأة! سمع الثلاثة صوت سيّارة الإسعاف آت من بعيد!

وييي واااا وييييي واااا وييييي.

كانت الأضواء الملونة فوق سطح السيارة تدور وتنعكس على جدران البيوت، وكان «عبد الرحمن» يراقبها باهتمام حتى توقفت قريبًا من بيتهم.

ثم صاح «يوسف»:

- انظرا! إنه العم «صالح» يركب سيارة الإسعاف!

يبدو أنّه مريض جدًا!

-أجل..لقد سمعته بالأمس وهو يصرخ مختنقًا من شدة السعال، لا بد أنّ حالته خطيرة، شفاه اللّٰه وعافاه.

ثم بكى «عبد الرحمن» فسمعت أمّه صوت بكائه وتركت ما في يدها وجاءت إليه بسرعة لتطمئن عليه،

مسحت دموعه وسألته في الحال:

-لماذا تبكي يا «عبد الرحمن»؟ لماذا أنت حزين يا حبيبي؟

قال «عبد الرحمن»:

-جارنا العم «صالح» مريض جدًا يا أمي ورأينا الآن سيّارة الإسعاف تقف تحت البيت والمسعفون يعلقون له المحاليل وهم يحملونه برفق، وكانت المرضة تضع على فمه كمامة موصلة بأنبوبة أكسجين كبيرة، هل سيموت يا أمي؟

ربّتت الأم على كتف ابنها وقالت:

-اللّٰه أعلم يا بنيّ، إنّه مريضٌ جدًا، وأمّا عن سعاله الذي لا ينقطع طوال الليل ونسمعه ونحن نقف في الشُّرفة فلأنّه للأسف يدخّن

السجائر ولم يستمع إلى الأطبّاء الّذين نصحوه أن يُقلع عنها فورًا لما فيها من سموم قاتلة، كما أنّ لديه مشكلة صحية أخرى في بطنه وحالته خطيرة وسيُجري الطبيب له عملية جراحية إن شاء الله .

قال «عبد الرحمن» ودموعه تملأ عينيه :

-وماذا لو مات يا أمي؟

قالت الأم:

-إذن هو قضاء الله وقدره يا بنيّ، ولا بد أن نرضى به، فالله أعلم بالخير وهو مدبّر أمر الكون كلّه بحكمته العظيمة.

وأسأل الله أن يعفو عنه ويتجاوز عن سيئاته بمرض بطنه الشديد هذا، فمن مات مبطونًا (أي نتيجة لمرض في بطنه يتسبب في موته) كان شهيدًا بإذن الله، والشهداء يدخلون الجنّة.

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

«من قتله بطنه لم يعذب في قبره» صححه الألباني

قال «عبد الرحمن» :

-لماذا خلق الله المرض يا أمي؟ إنه مؤلم.. مؤلم.

ابتسمت أمّه وقالت:

-المرضُ تَذْكرة إلى الجنة!

تعجّب «عبد الرحمن» عندما سمع أمه تقول (تَذْكرة)!

وتذكّر (تَذْكرة القطار) التي أعطتها له أُمّه عندما سافر معها لزيارة خاله «طارق» في القاهرة ليحضرا حفل تكريم ابن خاله «محمود» الذي تفوق في الثانوية العامة، كانت التذكرة عبارة عن قطعة صغيرة من الورق الكرتوني المقوّى، مدوّن عليها أرقام، وظلّ هو ممسكًا بها حتى مرّ مفتّش القطار وطلب من كل الرّكاب أن يخرجوها ليراها حتى يتأكد أنهم بالفعل قد سددوا ثمنها، فأخرجها له «عبد الرحمن» في الحال، فمن معه التذكرة فقط سيركب ويسافر، وأمّا من لم يسدد الثمن فلن يسافر معهم في القطار بالطبع.

انتبه «عبد الرحمن» من شروده حين مسحت أمه على رأسه وقالت له :

- نحن جميعًا يا حبيبي في حياتنا هذه كأننا ننتظر قطارًا كبيرًا يسير صاعدًا في السماء إلى الجنة، وكل عمل صالح نفعله في الدنيا كأنه بطاقة تشبه (تذكرة) القطار، ندفع ثمنها هنا لنكون مستعدين لـ«قطار الجنة» بإذن الله حين يأتي، ونتمكن من الركوب لنصل بإذن الله إلى الجنّة.

صاح «عبد الرحمن» بفرح:

-ليصعد الجميع معي.. أنا السائق هيا!!!!.... اصعدووووا إلى قطاري إلى الجنة، تووووت... تووووت... تششش تش.

ضحكت الأم وقالت بسرور:

-اللهم ارزقنا الجنّة، الحمد لله أنك تضحك الآن، فدموعك دوماً تؤلمني كثيرا يا بني.

دقّ جرس الهاتف،

تررررررن تررررررن.

أسرعت الأم لترد على زوجة أخيها والدة «بودي» و«يوسف»، والتي أخبرتها بأنها ستمر لتصحبهما بسيّارتها بعد قليل ليعودوا جميعًا إلى المنزل فقد أنهت عملها وحان وقت العودة.

بعد قليل وصلت أخيرًا زوجة الخال بسيّارتها الحمراء الصغيرة.

بيييييب بيييييب

ضحك الصغار الثلاثة من صوت بوق السيارة، ولوح «بودي» و«يوسف» لأمهما من الشُّرفة، وأخبراها أنهما سينزلان فورًا، لكنها أشارت إليهما بيدها أن يحضرا معهما «عبد الرحمن» أيضًا!

نزل الأطفال الثلاثة وهم يقفزون على الدرج بفرح وهم يقولون:

-تووووت تووووت قطار الجنّة،

تش تش هيا اركب معنا،

-تووووت تووووت قطار الجنّة،

تش تش فَرَحٌ يجْمَعُنا،

تووووت تووووت قطار الجنة،

تش تش هذه تذكرتك،

تووووت تووووت قطار الجنة،

تش تش خذ واحمد ربك.

ضحكت زوجة الخال عندما رأتهم مقبلين عليها في هيئة طابور طويل يشبه عربات القطار، ثم أعطت «عبد الرحمن» علبة أنيقة جدًا فيها هدية كبيرة.

فرح «عبد الرحمن» بالهدية وركض على الدرج صاعدًا، وأخبر أمه بأمر الهدية، ثم أسرع إلى غرفته وفتح العلبة الأنيقة، فوجد قميصًا جميلًا يشبه قميصًا عنده بالضبط! قال «عبد الرحمن» مندهشًا:

- أمي! انظري! إنه يشبه قميصي الذي اشتريتِه ليَ الأسبوع الماضي تمامًا!

قالت أمه:

-نعم يا حبيبي، جزاها الله خيرًا زوجة خالك، أرادت أن تسعدك بهدية جميلة، وهي لا تعلم أن لديك قميصًا مثله.

قال «عبد الرحمن»:

-لكنني فرحان لأنها تحبني وأنا أحبها كثيرًا جدًا.

قالت الأم:

-نعم يا حبيبي، وهي أيضًا تحبك جدًا.

فكر «عبد الرحمن» قليلًا ثم قال:

-أمي، عندي فكرة!

ما رأيك أن نعطيه للمرأة الفقيرة التي تبيع الخضراوات وتجلس قريبًا من منزلنا؟

قالت الأم بحماس:

-صدقة! ومن ملابسك الجديدة أيضًا! ما شاء الله يا «عبد الرحمن» أنا فخورة بك! كم أنت رائعٌ يا بنيّ! هيا بنا، فلنسرع بذلك إذن،

جعلك الله من السابقين يا حبيبي.

ارتدى «عبد الرحمن» ملابسه وخرج مع والدته، ووصلا أخيرًا عند بائعة الخضراوات، أعطتها الأمّ القميص ففرحت المرأة وبكت! حيث أخبرتها أن ابنها ظل يدعو بالأمس أن يرزقه الله ملابسًا جديدة، سيفرح كثيرًا أن استجاب الله دعاءه.

عاد «عبد الرحمن» إلى البيت مع أمه وهو يشعر بسعادة كبيرة أن مكنه الله من إسعاد طفل مسكين، ثم سأل أمه وهو يخلع حذاءه على باب البيت:

-أمي..لماذا خلق الله الفقر؟

ابتسمت الأُم في حنان وقالت:

-الفقرُ تذكرة إلى الجنة كذلك يا بنيّ!

فقد قال صلى الله عليه وسلم:

(يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَام) رواه الترمذي

وكذلك قال يا بنيّ:

(اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ) البخاري ومسلم

فرح «عبد الرحمن» عندما سمع الحديث الشريف واطمأن، وابتسم ابتسامة كبيرة عندما تخيل تلك المرأة الفقيرة في الجنّة وهي ترتدي تاجًا مرصعًا بالجواهر وتسير مع أبنائها وهم يرتدون الملابس الجميلة ويضحكون فرحين، والكل يراقبهم وهم في موكب كبير ونعيم لا ينتهي.

مرّت الليلة ونام «عبد الرحمن» مبكرًا، فغدًا سيذهب إلى حديقة الحيوان مع «يوسف» و«بودي» والخالة «حنان» وابنتها الجميلة «جُمانة»،

وسيأتي أيضًا «مؤمن» و«مريم» مع أمهما الخالة «غادة».

في اليوم التالي ذهب الجميع إلى حديقة الحيوان، كانت الشمس رائعة والسماء صافية، ورأى «عبد الرحمن» الكثير من الطيور الملونة والحيوانات الجميلة، كانت الزرافة لطيفة جدًا وانحنت بعنقها الطويل لتأكل من يده الجزر.

أما (سيد قشطة) فقد كان كسلانًا جدًا ينام كثيرًا بجوار بحيرته الصغيرة ثم يصحو ليأخذ فيها غطسًا منعشًا كل فترة.

وراقبوا جميعهم بحذر الأسد الشرس الذي كان يزأر عاليًا داخل قفصه ليخيف الحيوانات الأخرى أو ربما ليعلن للزائرين أنه ما زال ملك الغابة، أمّا الفيل الضخم العظيم فقد أخرج خرطومه الطويل من بين أعمدة السور الحديدي وتناول من يد «عبد الرحمن»

بعض العشب الأخضر ثم شفط بالخرطوم علبة البطاطس الشهية من يد «مؤمن» والتهم ما بداخلها على الفور فضحكوا جميعًا.

كذلك صاحت «مريم» عندما مروا بجانب أقفاص الطيور وقالت:

-انظروا!.. ريش الطاووس! إنه جميلٌ جدًا! ويشبه المروحة اليدوية الكبيرة، ما أجمله!

قال «مؤمن»:

-سبحان الله! شكله رائع حقًا! أرجوكِ يا أمي التقطي لنا صورة بجواره.

أخرجت الخالة «غادة» الكاميرا من حقيبتها، وطلبت من الأطفال أن يقفوا بجوار بعضهم بجوار قفص الطاووس، وطلبت منهم أن يبتسموا جميعًا.

فتح الأطفال أفواههم وأظهروا أسنانهم وصاحوا في وقت واحد لتظهر ابتسامتهم الجميلة وأسنانهم البيضاء النظيفة، قالوا في صوت واحد:

-بطيييييييخ.

وبينما كان «عبد الرحمن» يركض مع أقاربه «مؤمن» و«مريم»،

و«جُمانة» الجميلة تركض ببطء لأنها صغيرة ولا تستطيع اللحاق بهم،

رأوا من بعيد زحامًا شديدًا عند قفص القرود! لقد سقط أحد القرود من أعلى شجرته التي في القفص وأخذ يصرخ من شدّة الألم! يبدو أن ذراعه قد أصيبت، يا للمسكين!

حزن «عبد الرحمن» عندما رأى القرد يتألّم ويبكي، وأسرع إلى أُمّه وسألها مرّة أخرى:

-لماذا خلق الله الألم يا أمي؟

ابتسمت الأمّ وقالت:

-إنها تذكرة إلى الجنة كذلك يا بنيّ!

فمن يتألّم ويصبر على أي ألم يصيبه يكتب الله له أجرًا على صبره وتحمله، حتى ولو كان هذا الألم ضئيلًا جدًا كأن يُشاك بشوكة صغيرة في يده على سبيل المثال، والصابر على الألم صبرًا جميلًا لوجه الله له أجرٌ كبيرٌ لا يعلم حجمه إلا الله، وقد يجعله الله برحمته سببًا في دخوله الجنّة.

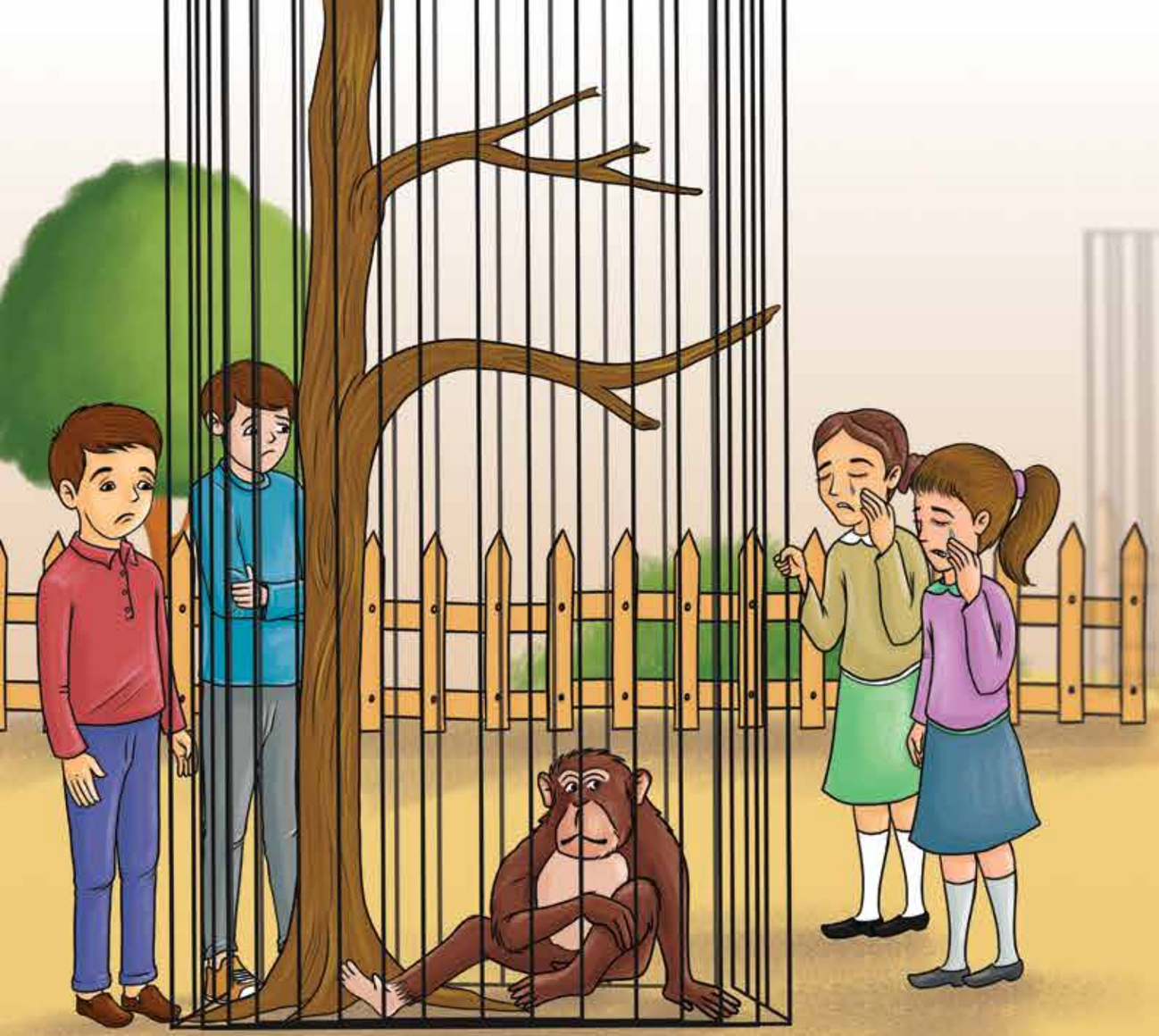

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠

كما أن الصابر يفوز بحب الله يا بنيّ كما قال: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٦)

قال «عبد الرحمن»:

-ما أوسع فضل الله ورحمته يا أمي بالإنسان!

فأكملت أمه على الفور قائلة:

-وبالحيوانات كذلك يا بنيّ.

فقال متعجبًا:

-حتى الحيوانات يا أمي؟!

هزّت الأم رأسها وقالت:

-حتى الحيوانات يا حبيبي، فالله رحمته وسعت كلّ شيء.

ظل الأطفال يراقبون القرد الصغير الذي كان يتألّم، وبكت «مريم» من أجله كثيرًا، كما بكت «جُمانة».

بعد دقائق اقترب الطبيب البيطري من قفص القرود، فقام الحارس بفتح القفص.

حمل الطبيب القرد بحنان وأعطاه بعض المسكنات والأدوية كإسعافات سريعة، ثم حملوه إلى مستشفى الحديقة ليستكمل علاجه ويتعافى بإذن الله.

وانصرف الجميع عائدين إلى بيوتهم، بعد أن زاروا بحيرة البجع وقاموا بإطعامهم الأسماك الطازجة والتقطوا الصور إلى جوارها كذلك.

لكن رغم كل ذلك، لم ينسوا القرد المسكين، وأخذوا يدعون له بالشفاء وذهاب الألم وهم في طريقهم خارجين من الحديقة.

قبل أذان العصر بلحظات كان «عبد الرحمن» في بيته من جديد.

بدّل ملابسه واغتسل وتوضأ وصلّى العصر، ثمّ اقترب من أمّه وسألها:

-هل لا بد من ألمٍ ومرضٍ وفقرٍ حتى ندخل الجنّة يا أمي؟

ابتسمت الأمُ ابتسامة حنون وقالت:

بالطبع لا يا «عبد الرحمن»، فهناك الكثيرُ من الأعمال الصالحة التي تكون سببًا في دخول صاحبها الجنّة، الأعمال الصالحة، الطاعات، الصوم.

وفجأة تذكرت الأم شيئًا، فابتسمت وهي تنظر لابنها

وقالت:

-أبشر يا «عبد الرحمن»، قد قال حبيبك صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) البخاري ومسلم

سألها «عبد الرحمن»:

-وما البَرْدَيْن يا أمّي؟

قالت الأم:

-صلاة الفجر وصلاة العصر يا بنيّ، ألم تُصلّ العصر منذ قليل؟

قال «عبد الرحمن»:

-بلى صليته يا أمي بفضل الله.

قالت أمه:

-أحسنتَ يا ولدي بارك الله فيك.. ومن اليوم سأوقظك لتصلي صلاة الصبح في وقتها قبل شروق الشّمس وتصلي قبلها ركعتين هما سنّة الفجر.

ولْتحافظْ على البردين يا حبيبي، إنهما تذكرة إلى الجنّة.

ثم سألته بابتسامة مرحة:

تريد أن أزيدك هدية أخرى؟

أجاب «عبد الرحمن على الفور بحماس:

-أجل أجل أرجوكي يا أمي، زيديني من تلك الهدايا الجميلة.

قال رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم:

قال رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، إِلا الْمَوْتُ) صححه الألباني..

أرأيت فضل الله يا ولدي كم هو عظيم!

فرح «عبد الرحمن» وقبَّل رأس أمِّه بسعادة كبيرة، وعاد إلى غرفته وهو يردد النشيد بمرح وحماس:

-تووووت تووووت قطار الجنّة تش تش هيا اركب معنا.

وفجأة دقّ جرس الهاتف!

إنّها جارتهم «أماني»، أرادت أن تخبر أم «عبد الرحمن» أن جارتهما الثالثة تحتاج إليهما ليكونا بجوارها الليلة فقد توفي ابنها الصغير الذي كان في المستشفى منذ ولادته أول أمس، لمرضه الشديد حتى فارق الحياة منذ ساعة. لم تتمالك أم «عبد الرحمن» دموعها وراحت تدعو لها أن يصبرها الله ويعوضها عما قريب بطفل آخر ويجزيها الأجر العظيم. ثم أغلقت الهاتف على وعد باللقاء مع جارتها «أماني» ليذهبا إلى أم الطفل رحمه الله.

بعد أن أنهت الأم المكالمة وأخذت تمسح دموعها، سألها «عبد الرحمن» بحزن كبير:

-لماذا يموت طفل رضيع يا أمي؟ هل هذه تذكرة للجنة أيضًا؟

قالت أُمّه وهي تمسح دموعها:

-نعم هي تذكرة إلى الجنة يا ولدي!

قال «عبد الرحمن» مندهشًا:

-وكيف ذلك؟

قالت:

-لأن والده ووالدته لو استقبلا خبر وفاته بالحمد والرضا يبني الله لهما بيتًا في الجنّة، يسمّى «بيت الحمد»، ألا تذكر الحديث الذي حفظناه سويا ونحن نقرأ قصة النبي الصبور «أيوب» عليه السلام؟

قال «عبد الرحمن»:

-بلى يا أمي حفظتُه معك بالفعل بفضل الله، ولكنّي لم أفهمْهُ حينها وكنتُ أنوي أن أسألكِ عن معناه لكني نسيتُ.

قالت الأم:

-جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إِذَا مَاتَ وَلَدُ الرَّجُلِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: أَقَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ (أي مات)

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: أَقَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟

قَالُوا: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ (أي قال حمدك وقال «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»)

فَيَقُولُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ) حديث حسن

قال «عبد الرحمن» بتأثر:

-يا الله! الحمد لله الذي يكافيء الصابرين بكرم عظيم وفضل كبير، فلتذهبي لصديقتك وتخبرينها بهذا الحديث يا أمي.

في تلك اللحظة كان الوالد يدير المفتاح في باب البيت، دخل وسلّم عليهما و حكى له «عبد الرحمن» ما حدث.

ثم جلسا معًا يتناولان وجبة الغداء، وقرر الوالد أن يأخذ معه «عبد الرحمن» لزيارة صديقه المهندس «كمال».

كان «عبد الرحمن» سعيدًا جدًا فهو يحبّ العم «كمال» كثيرًا ويحب بناته الثلاث، وهم كذلك يحبّونه كثيرًا وعندما يذهب إليهنّ يعلمونه الرسم على الزجاج بالألوان، وكذلك يصنع الكثير

من الأشغال اليدوية بالورق الملون.

بعد أن عاد «عبد الرحمن» إلى البيت مع والده من تلك الزيارة، سأل أُمّه بأدب:

-لماذا ماتت زوجة العمّ «كمال» وبناتها صغار يا أمي؟ أنا حزين من أجل عمي كمال فهو يربي بناته وحده ورأيته يرتّب البيت معهن ويصنع الطعام، فأشفقتُ عليه كثيرًا.

قالت الأم:

-إنها تذكرة إلى الجنة يا ولدي كذلك!

فعن عائشة أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قال رسول الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّه فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني

ابتسم «عبد الرحمن» وقال:

-يبدو أن تذاكر الجنّة كثيرة يا أمي!، ما أوسع فضل الله!

من بعيد سمع «عبد الرحمن» صوت أحد الباعة الجائلين، وهو يقول:

-فخار..على النار....فخاااار....على النااار

فركض بسرعة ليراقبه من الشُّرفة، كان البائعُ يجلس على عربة خشبية يجرّها حصانٌ هزيل، ويجلس بجواره غلام، كانت العربة تسير ببطء، والبائع ينادي بهذا النداء، إنّه يبيع أوانيَ من الفخّار، انتبه «عبد الرحمن» فجأة حيث وجد شابًا صغيرًا يبدو وكأنه هو الذي يقود العربة بينما البائع ينادي فقط!

أوقف الشاب العربة بجانب الطريق، ثم ذهب نحو الرجل ومد له يده كي ينزله! أمسك الرجل بيد الشاب وصار ينزل ببطء من على العربة، وتعثرت قدمه في البداية ثم سنده الشاب بمهارة سريعة! يا إلهي يبدو أنّ هذا البائع المسكين كفيف!

استدار «عبد الرحمن» لينادي على أُمه فوجدها بجواره وقد رأت ما رأى، فسألها:

-هو كفيف؟

هزت أمه رأسها بالموافقة.

فسألها:

-ولماذا هو كفيف؟ لماذا لا يرى مثلنا؟ لماذا لا يستمتع مثلنا بالألوان وضوء النهار الساطع ووجوه أحبابه وأهله ويتمكن من القراءة مثل باقي الناس؟ أنا حزين من أجله كثيرًا، هل هذه تذكرة للجنة يا أمي؟

قالت الأُم:

-نعم يا حبيبي.

فقدانه لبصره وصبره على هذا سيكون سببًا بإذن الله لدخوله الجنة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ ثُمَّ صَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ -يُرِيدُ عَيْنَيْهِ) صحيح البخاري

وحبيبتيه هما عينيه.

قال «عبد الرحمن»:

-في كل مرة يا أمي أحزن لمسلم تصيبه معاناة في حياته، أجدني أفرح له بعدها كثيرًا بعد أن أعرف منك أن أمره هذا يدخر الله له به خيرا كثيرًا يوم القيامة حقا إنّ فضلَ الله عظيم.

أجابت أمه:

-أجل يا بنيّ، المهم أن نصبر ونرضى، فننعم بالجزاء الكبير إن شاء الله هيا بنا لننام يا ولدي فقد كان يومًا طويلًا.

مرّت الليلة بسلام، وفي اليوم التالي استيقظ «عبد الرحمن» وجلس بجوار والده، وعندما أحضرت أمه الإفطار قال زوجها:

-فلتأكلي أنتِ و «عبد الرحمن» هذا الطعام فإني صائمٌ اليوم إن شاء الله.

قالت:

-وستحضر معنا جنازة ولد جارتنا اليوم؟ أسأل الله أن يربط على قلبها.

أجاب الوالد:

-نعم بالتأكيد إن شاء الله.

قالت أم «عبد الرحمن»:

-إذن فلتجمع مع العملين صدقة، ولتذهب لزيارة خالك المريض كي لا يفوتك أجر الحديث الشريف، لا تنس يا زوجي العزيز.

قال الأب:

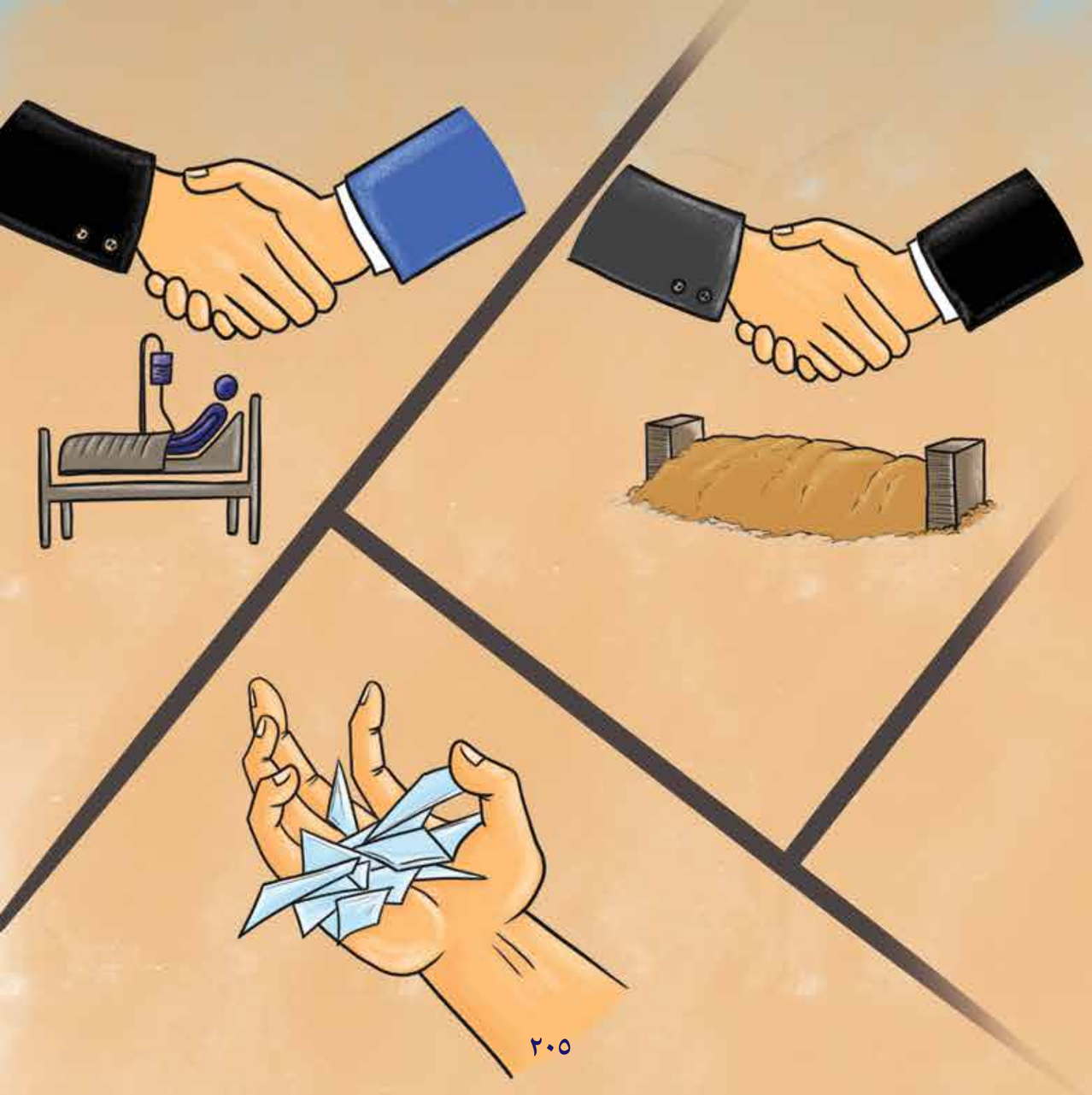

فسأل «عبد الرحمن» بدهشة :

-أي أجر حديث هذا الذي تقصده أمي يا أبي؟!

أجابه والده :

-في يوم من الأيام يا ولدي، قال النبي صلى الله عليه وسلّم لأصحابه :

(مَن أَصْبَحَ مِنكُم اليَوْمَ صَائمًا؟.. قال أبو بكرٍ : أنا.

قال: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُم اليَوْمَ جِنَازَةً؟.. قال أبو بكرٍ: أنا.

قال: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنكُم اليَوْمَ مِسْكِينًا؟.. قال أبو بكر: أنا.

قال: فَمَنْ عَادَ مِنكُمُ اليَوْمَ مُرِيضًا (أي زاره)؟.. فقال أبو بكر: أنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امرئٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ) رواه مسلم

أي من فعل تلك الأربعة في يوم واحد فإنه يدخل الجنة يا ولدي.

قال «عبد الرحمن» :

-ليتني آتي معك يا أبي.

وافق والده على الفور ودعا له بالصلاح وقال :

-هيا انه طعامك حتى نذهب للجنازة وندرك الخيرات قبل أن يداهمنا الوقت.

أنهى «عبد الرحمن» فطوره وانصرف مع والده للجنازة.

و بعد الجنازة وفي الطريق إلى الخال المريض تصدّق أبو «عبد الرحمن» على أحد الفقراء.

ثم فجأة! سمع «عبد الرحمن» صوتًا أفزعه!

كراااششش..!

لقد سقط زجاج أحد النوافذ بعد أن اصطدمت به كرة القدم التي كان يلعب بها بعض الأطفال في الشارع وتناثرت أجزاؤه المكسورة على الأرض هنا وهناك، فطلب الأبُ من «عبد الرحمن» أن يظل في السيارة بعيدًا حتى لا يؤذيه الزجاج المكسور.

ثم أمسك الأب بقطعة كبيرة من الورق المقوّي وبدأ يجمع الزجاج المكسور دون أن يلمسه، ووضعه في كيس بلاستيكي سميك وربطه بإحكام ثم ألقى به في سلّة المهملات .

وعاد لابنه الذي كان يراقب الأمر من السيارة بعيدًا عن الزجاج كما أمره والده.

سأل «عبد الرحمن» والده الذي أخذ الطريق نحو بيت الخال المريض ثانية :

-لماذا يا أبي جمعت الزجاج بنفسك؟ لو تركته كان عامل النظافة سيكنسه غدًا في الصباح!

قال الأب:

-فعلتها ابتغاء مرضاة الله يا ولدي، فهذا العمل كما تقول أمك لك دومًا تذكرة إلى الجنة. فإماطة الأذى عن طريق الناس سببٌ لدخول الجنة يا بنيّ.

قال صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ) صحيح مسلم

قال «عبد الرحمن» :

-ما شاء الله!، جزاك الله خيرًا يا أبي، وأسأل الله أن يتقبّل منك.

وأن يعينني على بِرِّك والإحسان إليك أنت وأمي حبيبتي لأدخل الجنة.

فلقد سمعت الشيخ يقول في خطبة الجمعة أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال:

(الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنّةِ) حديث صحيح...

قال الأب وهو يمسح على رأس «عبد الرحمن»:

-بارك الله فيك يا ولدي الحبيب، كم أنا فخور بك! وأسأل الله أن يجعلك ويجعلنا من أهل الجنّة.

ابتسم «عبد الرحمن» وقبَّل يد أبيه وقال بسعادة:

-أنتما مفتاحاي إلى جنة ربي الرائعة إن شاء الله.

لن أخيّب ظنكما بإذن الله أنت وأمي.

أنتما نعمة من ربي، وخير تذاكري إلى الجنّة.

..تمت..

أصحاب حمزة

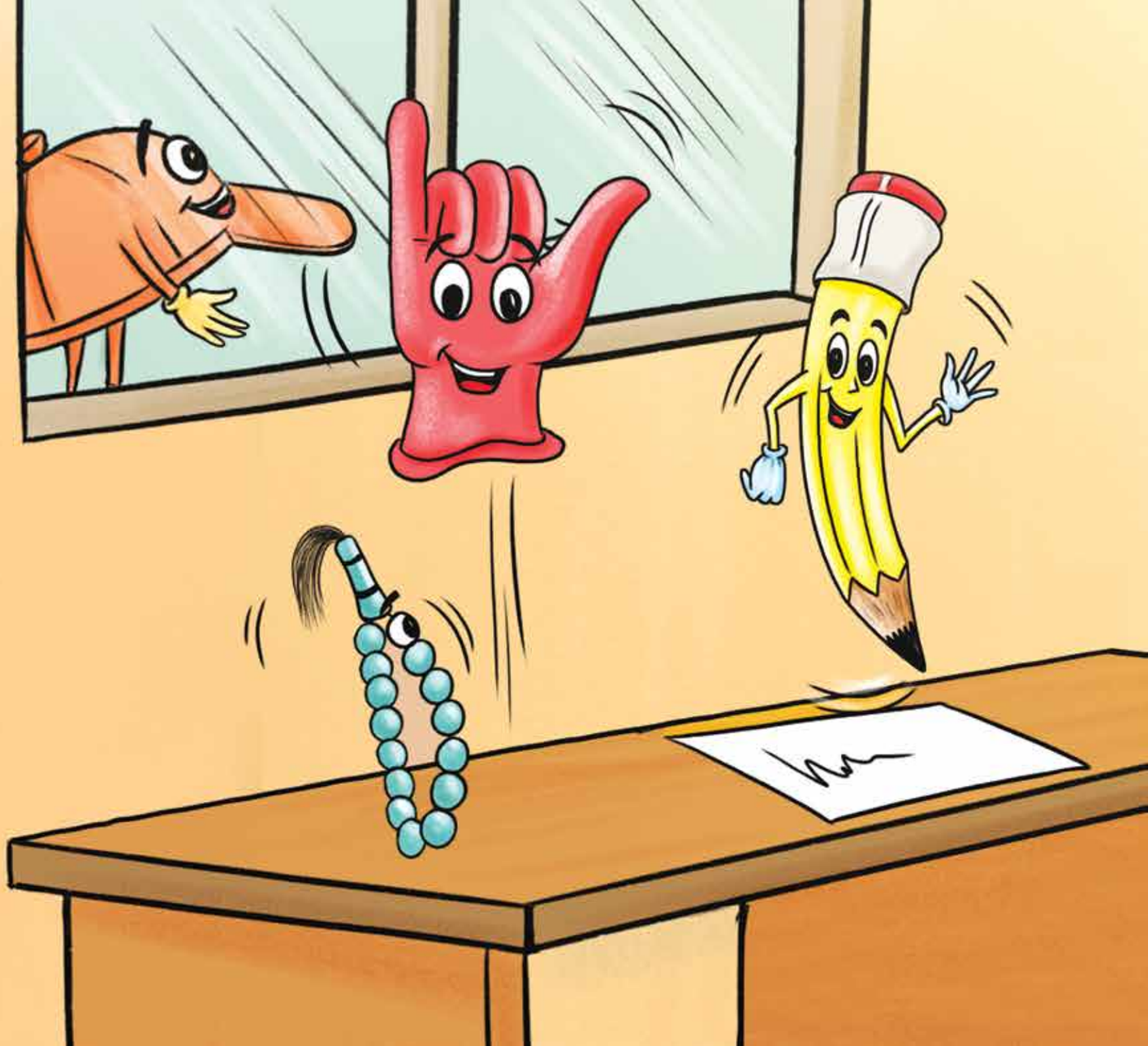

يُحكى أن بيتًا قديمًا في أحد الشوارع الكبيرة كانت تحيطه الأشجار الخضراء الجميلة وكأنهم أصدقاء، تدفئه وتحميه من الرياح الشديدة الباردة في فصل الشتاء، وتظلل عليه لتقِيهِ حرارة الشمس في فصل الصيف.

وفي أحد الأيام قرر أصحابه بيعه لأنهم لا يزورونه كثيرا.

جاء رجل قوي يحمل لافتة خشبية كبيرة مكتوب عليها

«العقار للبيع»

وقد كتب بخط كبير واضح رقم هاتفٍ جوّالٍ تحت

الكلمتين لمن يريد أن يستعلم عن سعر البيت.

اهتزت الستائر على النوافذ غضبًا، فقام

القلمُ الرصاص وقفز فوق المكتب واتجه إلى النافذة

ثمّ أزاح الستارة بسنّه المقصوف وقرأ اللافتة وصاح قائلا :

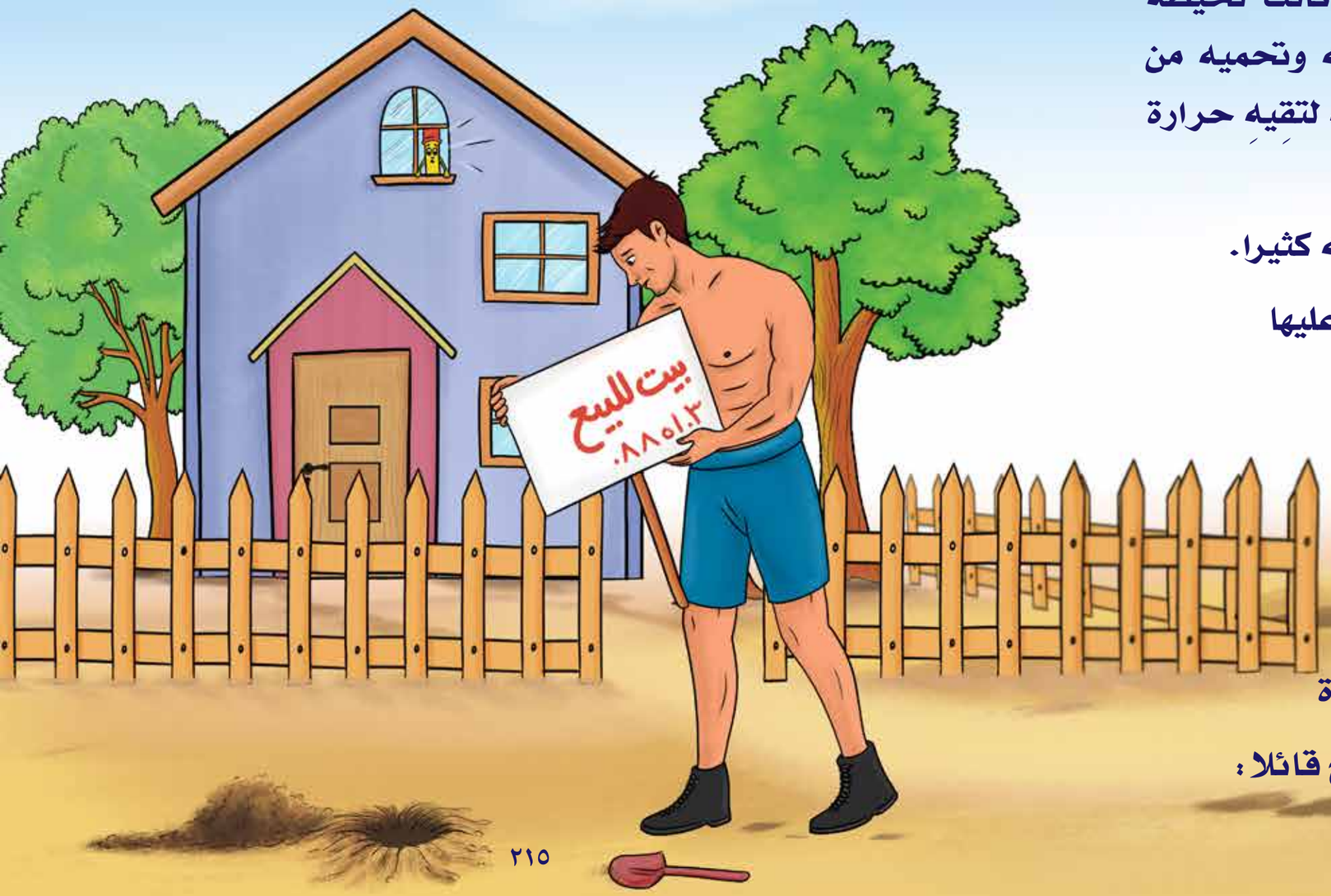

-يا إلهي! يبدوأنهم سيقومون ببيعِ البيت!

أصدر القميص المطوي في أحد الأدراج ضجّة هائلة وظلّ يطرق بأزرارهِ على جوانب درج الخزانة الذي وُضع فيه يريد أن يخرج، فقفز القفازُ الأحمر من فوق المكتب واتجه إلى الخزانةِ وفتح الدرج فخرج القميص الأزرق ثائرًا وصاح قائلاً:

- سيبيعون البيت! كيف هذا؟ لا بد أن يعود «حمزة» أولاً!

تدحرجت الكرة من خلف باب الغرفة المغلق واقتربت من القفاز والقميص وقالت:

-هل نسيت أنهم لم يعودوا إلى البيت منذ عشر سنوات!

لا أمل في عودتهم، لقد نَسِيَنا «حمزة»، وأظن أن «سلمان» نسينا هو الآخر.

مدّ البنطال ساقيه المطويتين وخرج من الدرج حيث

كان نائمًا بجوار القميص الأزرق وقال بصوت كسول:

-عودوا إلى أماكنكم، لن نستطيع الوصول إلى «حمزة» مرّة أخرى، نحن مجرد ملابس وأدوات، هل نسيتم؟

نهضت سجادة الصلاة التي كانت تفترش ركنًا من الغرفة وقالت بصوت حنون:

-كم أشتاق إلى جبهته ووجهه الجميل وهو يسجد عليَّ ويدعو في سجوده لشقيقيه «بلال» و«سلمان». سمعتُه مرّة يسأل اللّٰه أن ييسر له حفظ القرآن ليلبسَ والديه تاجَ الوقارِ في الجنّة.

قالت المسبحة وهي معلَّقة على طرف الفراش الخشبي:

-كانت لمسات أصابعه الحنونة على حبّاتي كل يوم مائة مرة تسعدني، وكأنه يحتضنها برفق في كل مرة وهو يقول سبحان اللّٰه، الحمدللّٰه، لا إله إلا اللّٰه، اللّٰه أكبر.

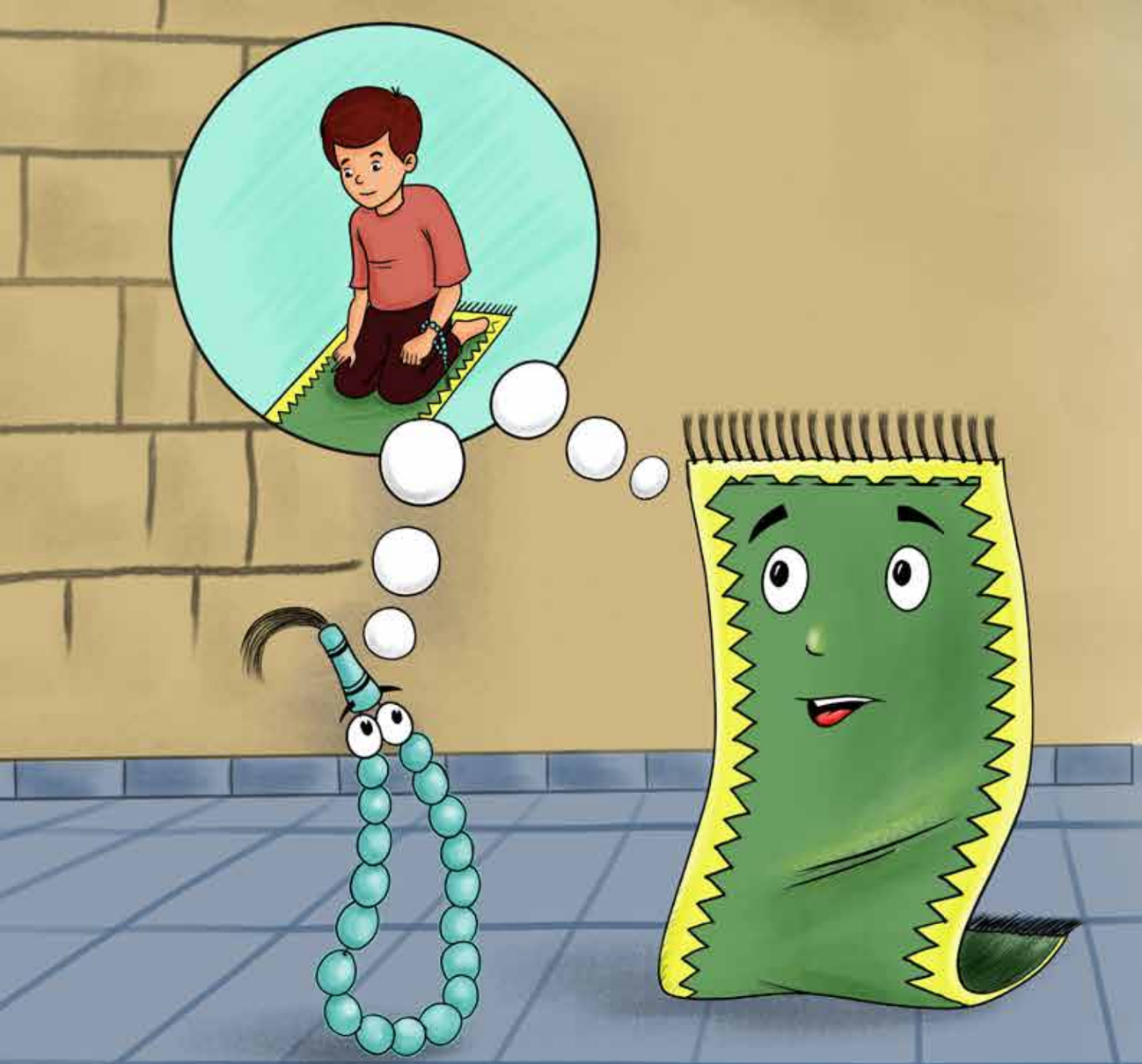

حتى عندما كان الصغير «بلال» يقذفني هنا وهناك كنت أضحك.

تحدّثتِ المبراةُ فسمع القلمُ الرصاصُ صوتَها الذي أصابه بالتوتر فأسرع يختبئ منها خلف الستارة حتى لا تبريه بشفرتها الحادة، وسمعها من خلف الستارة وهي تقول:

-كلّنا أحببناه ولكن! كما قال البنطال، عودوا إلى أماكنكم، فنحن مجرد أدواتٍ كانت لحمزة يومًا ما وأظنه قد نسيَنا الآن.

صرخ الحذاء معترضًا وجاء مسرعًا فتعثَّر في أحد أربطته وهو يركض في الغرفة غضبًا فانقلب على وجهه، فأسرع القفاز ليساعده على النهوض، واقتربا معًا نحو المكتب حيث انحسرت الستارة و أظهرت القلمَ وهو يجلس حزينًا متكئًا بيديه على سِنِّه المقصوف في أسَى.

ثُمّ قال الحذاء:

-أيتها المبراة اليائسة، أيها البنطال الكسول، كُفًّا عن هذا!

إن كان «حمزة» لن يأتيَ إلينا هنا فلنذهبْ نحن إليه.

قال القلم بصوت حزين:

-وكيف سنذهب إليه ونحن محبوسون في غرفة «حمزة» منذ سنوات ولن نتمكن من فتح الباب!

أسرع الحذاء وركل الكرة بقدمه فجأة ووجهها إلى دفّة الباب فعادت وتدحرجت أمامه مرّة أخرى!

فأصابه غضب شديد، فقام بركلها بقوة كبيرة فاصطدمت رأسها بدفّة الباب مرّة أخرى وكادت أن تفقد الوعي!

فانزلقت وتدحرجت على أرض الغرفة ثانيةً، وقد فُتح الباب أخيرًا!

فصرخ الجميع فرحين بينما كانت الكرة تُمسك برأسها و تتألم.

صاح القلم منتشيًا:

-الحمد لله..لقد فُتح الباب، ولكن أنسيتم أننا لا نعرف عنوان بيت «حمزة»؟، كما أننا لا نملك نقودًا ولن نستطيع أن نتحدث مع الآخرين فهم لن يفهموا لغتنا!

قالت القبّعة الرياضية الأنيقة بمرح:

-هناك عشرة جنيهات في جيب البنطال الخلفي، كنت قد سمعتُ والد «حمزة» وهو يطلب منه أن يحتفظ بها للطواريء ولا ينفقها أبدًا إلا لحاجة شديدة، حتى يكون مستعدًا لأي ظرف طاريء قد يتعرض له وهو عائد من النادي حيث كان يتدرب مع شقيقه «سلمان» الماهر في إحراز الأهداف، ومع رفاقه أيضًا، فليُخرج لنا القفاز تلك النقود.

مال البنطال ومد جيبه تجاه القفاز الذي غطس بدوره في داخله للحظات ثم خرج محتضنًا ورقة نقدية قيمتها عشرة جنيهات، فصاح الجميع فرحين.

قال القميص بهدوء:

-الآن لابد أن ننقل رقم الهاتف من على اللافتة الموضوعة أمام المنزل، ونتصل بالرقم لنعرف العنوان الجديد، ثم نجتمع جميعًا داخل علبة الهدايا التي كان يحتفظ بها «حمزة» تحت فراشه، ونكتب عليها العنوان من الخارج، ونضع فوقها النقودَ، لعل ساعي البريد الذي يمرّ كل أسبوع مرّة أمام البيتِ ينتبه فيرسلنا إلى«حمزة».

قالت المبراة وقد اتسعت عينُها وهي تبتسم وتُظهِر شفرتها الكبيرة اللامعة:

-لا بد من بَرْيِ القلم الرصاص المقصوف أولًا لكي يتمكن القفاز من الكتابة.

صاح القلم وركض مرعوبًا إلى ركن الغرفة:

-لا...لا...لاااااا!

ركض الجميع خلف القلم ولاحقه الحذاء الرياضي الأبيض وركله ليسقط تحت الفراش، فمد البنطال أحد ساقيه ليجذبه فهرب القلم بعيدًا عنهم تحت السرير حتى ألصق ظهره بالجدار.

ظل الجميع ينادون عليه ليقنعوه بأن يضحّي من أجل لقائهم بـ«حمزة» مرّة أخرى لكنه رفض أن يخرج.

شعر القلم بشيء ما يتحرك في الظلام تحت الفراش.

وفجأة! لمعت عينان في تلك العتمة أسفل السرير وصدر صوت غريب جعل القلم يرتجف، حتى المحاة التي في طرفه كادت أن تنشق إلى نصفين من شدّة الرعب!

وفجأة! لمعت عينان في تلك العتمة أسفل السرير وصدر صوت غريب جعل القلم يرتجف، حتى الممحاة التي في طرفه كادت أن تنشق إلى نصفين من شدّة الرعب!

اقتربت العينان المضيئتان وظل الصوت يرتفع ويرتفع

«فررروووم فوووممم»

إنها سيارة من سيارات«حمزة» التي كان يلعب بها والتي اشتاقت إليه أيضًا.

اقتربت من القلم ودفعته إلى الحائط وقالت بحزم:

-هيا أمامي إلى الخارج، وإلا!

خرج القلم مستسلمًا وجلس أمام الجميع حزينًا.

وأرادت القبّعة اللطيفة أن تخفف عنه فقالت:

-أنت أكثرنا ذكاءً أيها القلم، وكم من كلمات حلوة كتبها «حمزة» بمساعدتك، لابد أنك تشتاق إلى خطه الرائع، ألا تحب أن يمسكك بكفّه الصغير مرّة أخرى؟

اقتربت سجادة الصلاة ثمّ قالت وهي تربت على ظهر القلم:

-أنسيت جدول الصلاة الذي كان يسطره بك؟ كان يكتب أيامَ الأسبوع وأسماءَ الصلوات الخمسة هو وشقيقه «سلمان»، ويعودان إليك خمس مرات في اليوم ويحتضناك ليعلّما على الصلاة التي يتمّاها بفضل اللّه.

استدارت الكرة أمامه وقالت:

-انظر إلى ظهري ها هو توقيعه محفورٌ بخط جميل، لقد كنت سعيدةً أيها القلم وهو يحاولُ كتابةَ اسمه على سطحي بسنّك.

تغيرت ملامح المبراة وقالت بتأثر:

-لماذا تكرهني أيها القلم؟ هكذا خلقني الله لأقوم بدوري تجاهك، فأنا أساعدك لتعود لنشاطك، أنا أهذّب أطرافك لتكتب العلم والكلمات النافعة، لا بد أن نتألم أحيانا لنعود من جديد أقوى وأروع وأجمل.

وأعتقد أنّك لن تتألم لأنني رأيت «حمزة» يقص أظافره ولم يتألم، أليس كذلك؟

اقتنع القلم أخيرًا بكلامهم وسلّم نفسه ليد القفاز اليُمنى التي أمسكته، بينما أمسك القفازُ الأيسرُ بالمبراة،

وسريعًا بدأ القفاز يدير القلم في فم المبراة.

وبعد لحظات أخرجهُ القفّازُ لامعًا أنيقًا جميلًا بسنّ أسودٍ مدبب.

صاح الجميع فرحين بينما قفز القلم ليرى نفسه في المرآة، وسريعًا ما ارتسمتْ على وجهه ابتسامة رائعة، وقال وهو يضحك:

-حقًا لم أشعر بأيّ ألم، ظننت الأمر أكبر من ذلك! يبدو أن سنّي كأظافر حمزة تمامًا.

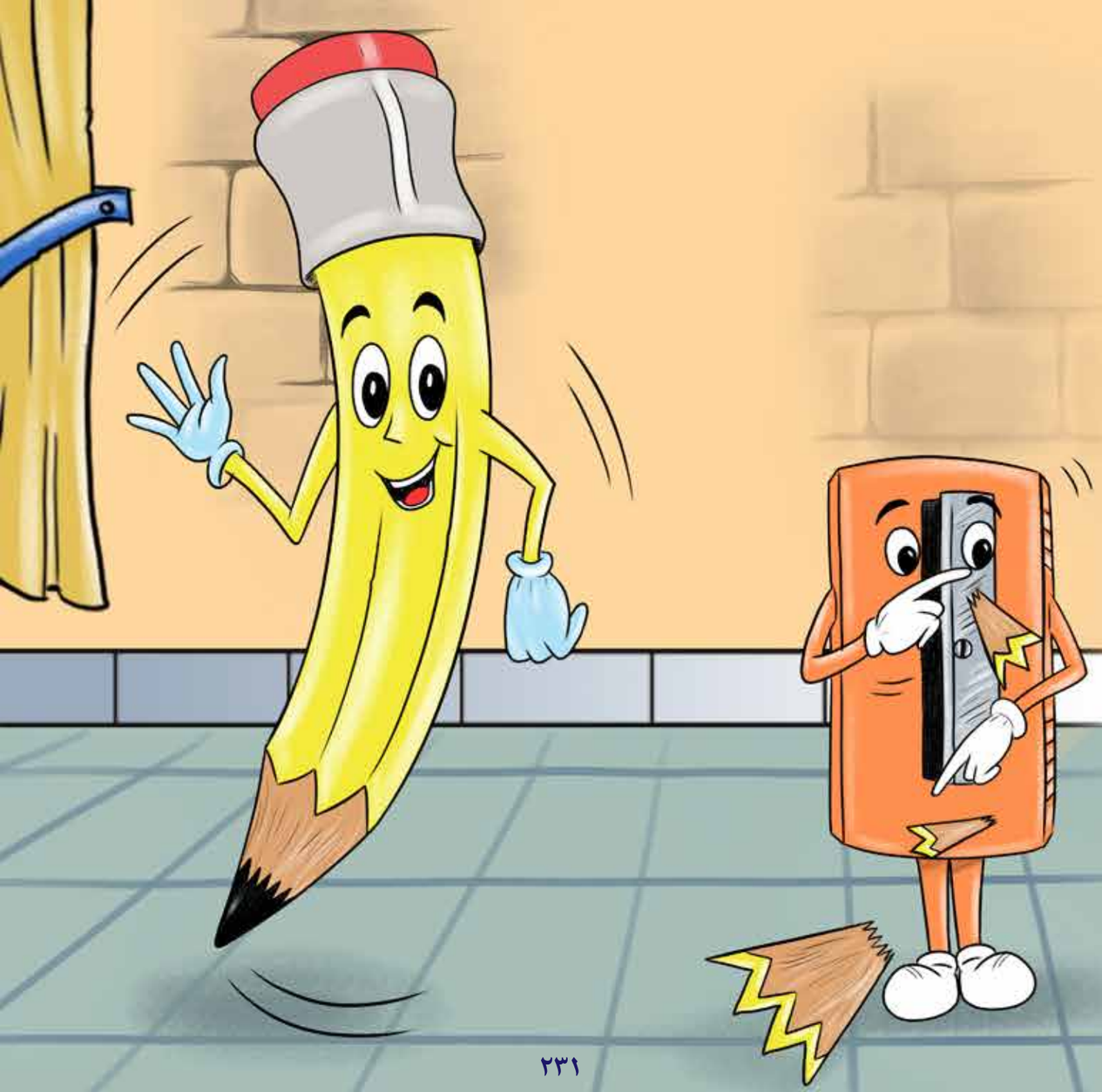

سحب القفاز ورقة من فوق المكتب ومدّها أمام القلم بينما كانت القبّعة تراقب اللافتة من خلف زجاج النافذةِ و تمليهم رقم الهاتف.

دوّن القلمُ رقم الهاتفِ على الورقة.

وقرر الجميع الانتقال لصالة البيت حيث الهاتف.

لكنهم توقفوا فجأة عند باب الغرفة!

فقد خرجت أخيرًا علبةُ الهدايا من تحت الفراش.

والتف الجميع حولها وهم يحاولون فتح غطائها، وأخيرا نجحوا بعد مجهود كبير، وكانت المفاجأة!

كانت النظارة الشمسية التي أهداها جدّ «حمزة» له ما زالت في الصندوق كما هي لم تتغير.

خرجت النظّارةُ بدلالٍ ونظرت إليهم بغرورٍ من أعلى العُلبة وهي تستند على حافّتها وقالت:

-أنتم إذن من تصدرون تلك الضجّة! كم أنتم ثرثارون! من منكم كان يصرخ منذ لحظات؟

غضب القلم وقال لها :

-وما شأنكِ أنت؟

ردت وقد أشاحت بعدستيها بعيدًا عنه وقالت:

-الصوت أزعجني وكنت نائمة.

قال متهكمًا :

-نائمة ولا فائدة منك، لا أدري ما هي فائدة النّظّارة الشمسية!

لاحظ القميص أن الحوار سيشتدّ بينهما وأراد أن ينبههما لمهمتهم الأصلية فقال بأدب:

-حان وقت الرحيل إلى«حمزة» هيا بنا يا رفاق.

خرج الجميع من الغرفة،

وكانت المسبحة تصرخ وهي معلّقة على طرف الفراش تطلب منهم النجدة لكي ترحل معهم وخشيت أن يتركوها وحيدة.

في تلك اللحظة، ظهرت فجأة صنارة الصيد التي كان يستخدمها «حمزة» في رحلاته مع والده وهما يمارسان هواية الصيد الممتعة وقامت بالتقاط المسبحة وأخيرًا اتجه الجميع لصالة البيت حيث الهاتف.

كان الهاتف قديمًا ذا قرص دوّار مدوّن عليه الأرقام، وكان لا بد في كل مرة من إدارة القرص مع كل رقم.

صاح الحذاء:

-فلنرفع سماعة الهاتف أولًا.

قامت الصنارة برفع السماعة ووضعتها على المنضدة فقال الحذاء:

-والآن أيتها الصنّارة التقطي القفاز وضعيه على المنضدة، وأنت أيها القفاز خذ معك القلم.

قامت الصنارة برفعهما إلى المنضدة وبدأ القفاز في إدارة قرص الهاتف برأس القلم حتى تعب وشعر بإعياء شديد.

توقف أخيرًا هو والقلم وقرّبا آذانهما عند سماعة الهاتف ينتظران ردًا من الطرف الآخر.

وبالفعل جاءهم صوتٌ هادئٌ وقال بوقار:

-السلام عليكم؟

تحدث القلم وحاول القفاز أن يصرخ لكن صوتهما لم ينتقل من خلال السماعة ولم يتمكن المتحدثُ من سماعهما!

كرر المتحدثُ التحيّة ثم قال:

-من على الهاتف؟

وجاء صوت من بعيد لامرأة عجوز تقول:

-ربما أحدهم يود مضايقتنا ضع سمّاعة الهاتفِ يا....

صرخ الجميع وقد خابت أمالهم! لم يتمكنوا من نقل أصواتهم للمتحدثِ على الهاتف، كما أنهم لم يعرفوا لمن هذا الصوت!

مرّت الليلة وكلّهم في حزن شديد، فلو تم بيع البيت لن يتمكنوا من رؤية «حمزة» و«سلمانَ» و«بلالَ» مرّة أخرى.

استلقى الجميع فوق سجادة الصلاة، نام القلم بجوار المبراة دون أن يخاف منها، وطوى البنطال نفسه لتتمدد عليه النظّارة الأنيقة حتى لا تتكسر عدساتها، أما القبعة فجلست طوال الليل تتحدث مع المسبحة عن الأيام الجميلة التي قضوها جميعًا مع «حمزة»، وكيف كان مطيعًا لوالديه، متفوقاً في دراسته، يرتّب وينظّم غرفته بنفسه، ويحافظ على أدواته كلّها.

وأخيرًا استسلم الجميع للنوم، وقام القميص بفتح أزراره و تغطيتهم حيث كانت الليلة باردة، أما الصنّارة فاستندت على النافذة وظلت تراقب بحزن اللافتة في الخارج والتي كتب عليها «البيت للبيع» حتى طلعَ النهار.

كادت أن تسقط من شدة التعب وتنام هي الأخرى لولا صوت الرجل الذي اقترب من النافذة وأخذ يحملق في البيت من خلف الزجاج، ثم دار حوله ومشّط الحديقة بعينيه، ثم سحب الهاتف من جيب بنطاله وبدأ يضغط أرقامه وهو يراقب اللافتة! فصرخت وأيقظت الجميع:

-اقتربوا، أسرعوا، هذا الرجل سيحدّث «حمزة»وأهله الآن.

هرول الجميع إلى النافذة وألصق كل منهم أنفهُ بزجاجها، بينما اتجه القميص والحذاء إلى باب البيت حيث ألصقا آذانهما به ليسمعا كلام الرجل الذي قال:

-نعم ..نعم..يبدو أنه بيت رائع، ولكن لماذا تودون بيعه؟

-.....

-ما شاء اللّٰه، بارك اللّٰه فيك، كم تطلبون ثمناً له؟

-.....

-سعرٌ مناسبٌ جدا، متى سيأتي أحدكم ليريني البيت من الداخل؟

-.....

-حسنًا ولو أعجبني كيف ألتقي بكم لأسلمكم المال وأوقّع عقد البيع؟

-.....

-نعم نعم معي ورقة وقلم في جيبي لحظة.

وأخرج الرجل ورقة وقلمًا من جيبه وبدأ يكتُب العنوان ويردد الكلام بصوت مسموع خلف من يحدثه قبل أن يسجله على الورقة وقال:

-الإسكندرية، شارع الشروق، منزل رقم ستة وعشرون، الدور الثالث، شقة رقم تسعة.

-.....

إن شاء اللّٰه نلتقي على خير، ونَمُرُّ معًا على المحامي ولكن بعد أن أرى البيت من الداخل وأراجع أوراق الملكية الخاصة به عندما أزوركم بالبيت.

انصرف الرجل وبدأ الجميع في الصياح والرقص.

قفز القلم وتدحرجت الكرة ودارت المبراة على الأرض بسعادة وظلت السيارة تسير هنا وهناك «فووووم فروووم»، ومالت الصنّارة بدلالٍ يمينًا ويسارًا، ولسان حالهم جميعًا «أخيرًا عرفنا العنوان».

«ولكن ماذا بعد؟»

تساءل الجميع فجأة و تداخلت أصواتهم.

فوقف الحذاء في وسط صالة البيت وقال بصوت قوي:

-اجمعوا.

اقترب منه الجميع والتفوا حوله فقال بغضب:

-أنسيتم أن اليوم هو السبت وهوأول الأسبوع!

قالت النظّارة متعجبة:

-وما الغريب في ذلك؟

قالت القبّعة موجهة كلامها إليها:

- ساعي البريد سيأتي بعد قليل.

أسرع القلم إلى غطاء علبة الهدايا وحاول أن يكتب عليها لكنه فشل في مهمته، سطحها اللامع لم يسمح له بالكتابة.

انهار الجميع ووقفوا في حيرة شديدة، وهنا قالت العلبة بخجل:

-سامحوني وددت أن أخبركم منذ البداية لكنني لم أرغب في إفساد فرحتكم، سطحي اللامع لن يسمح للقلم بالكتابة عليه.

وقف القميص ينظر يمينًا ويسارًا وبدأ يتنقل في البيت باحثًا عن شيء ما.

لاحقَهُ الحذاء وقال بضيق:

-أخبرني عمّ تبحث، وكُفّ عن هذا الغموض! فأنا أكبر منك سنًا أيها القميص.

التفت القميص وقال بأدب:

-عفوًا سيدي الحذاء لم أقصد، أعلم أنك أكبرنا سنًا، وأنا حقًا أجلّك وأحترمك فقد تعلمتُ احترام الكبار من «حمزة»،

أنا أبحث عن الشريط اللاصق الذي كانت تستخدمه والدة «حمزة» في لصق الأشياء، فنحن نستطيع أن نكتب العنوان على ورقة ونلصقها على غطاء العلبة.

ابتسم الحذاء منتشيًا وقام بلفِّ أربطته وعقدها وقد أسعدتْهُ كلماتُ القميص، كما أنه امتنَّ لأنه يحترمه كثيرًا ثم قال:

أظنه بأحد أدراج المكتب فلنسأل الصنارة أن تحضره فهي أسرعنا.

عاد الجميع بعد أن أحضرت الصنارة الشريط اللاصق، وبدأ القلم يكتب العنوان ورقم الهاتف على أحد الأوراق، وكتب ورقة أخرى موجهة لساعي البريد لكي يقوم بحمل الطرد وإرساله للعنوان وكأنّ أحدهم كتبها له.

صعد الشريط اللاصق فوق غطاء العلبة وتشبث بأحد أطراف الورقة وقام القفاز بجذبه بشدّه فتحرر المزيدُ من الشريط، وقام بإلصاق نفسه على الورقة والعلبة.

صاح الجميع فرحين وقفزوا إلى داخل العلبة.

طوى البنطال نفسه، وأغلق القميص أزراره، وتمدد القلم والمبراة والنظارة الشمسية والمسبحة والقبّعة والسيّارة والحذاء والكرة بجوار بعضهم البعض بينما غطتهم سجادة الصلاة.

وفجأة أخرجوا رؤوسهم في ذهول!

يا الله!

الصنّارة لن تتمكن من الدخول معهم إلى العلبة لأنها طويلة! حيّز العلبة الضيّق لن يتمكن من إحتوائها في داخله. كانت الصنّارة تعلم من البداية، ولهذا كانت دائما حزينة.

هزت رأسها بألم وقالت لهم:

- لا تقلقوا عليّ واذهبوا أنتم للقاء «حمزة»،

سأحمل الغطاء وأضعه فوقكم، وأضع النقود أيضا، لا بد أن يضحي أحدنا من أجل الآخرين، وأنا عجوز ولا أظن «حمزة» سيستخدمني بعد أن صرت عديمة القيمة فقد ضعفت أطرافي.

حيّاها الجميع بألم، وخرج الحذاء مرة أخرى ونادى على الكرة، وظلّ يركلها نحو دفّة باب البيت لكنه لم يفتح كما فتح باب الغرفة من قبل، فقد كان عليه قفل كبير من الخارج.

ظل الجميع في حيرة والكل يتحدث في وقت واحد مما أزعج الحذاء فركل الكرة بغضب شديد فتحطم زجاج النافذة! ران عليهم صمت لفترة طويلة والكل يتأمل زجاج النافذة المكسور وهو متناثر في كل مكان.

صرخت النظارة متأثرة بشدة وقالت وهي تبكي:

-ضاعت الكرة! يا إلهي!

اقتربت الصنارة من النافذة ومدَّت رأسها خارج النافذة ونظرت يمينًا ويسارًا وصاحت:

-ها هي موجودة في الحديقة لا تقلقوا، ولكن يبدو أن الزجاج المكسور تسبب في إحداث ثقب فيها وأفرغ ما بها من هواء، لن تتمكن من الدحرجة مجددًا حتى يصلحها «حمزة» إن شاء الله. فلتساعدوها وتسحبوها وسأخرجكم أوّلًا واحدًا تلو الآخر.

بدأت الصنارة في إخراجهم واحدًا تلو الآخر حيث كانت تلتقطهم بهدوء وتخرجهم برفق من النافذة. وانتهت أخيرا من المهمة التي نجحت فيها ببراعة، حيث طوت سجادة الصلاة نفسَها عدة مرات لكي تتمكن الصنارة من حملها، وكذلك فعل البنطال، أما القميص فكان خفيفًا لطيفًا كعادته.

جرّ القفاز الكرة التي كانت تضحك وقالت وهي تتنهّد:

-أخيرًا أفرغتُ ما في جوفي من هواء، كنتُ أشعر بالامتلاء ووددتُّ أن أريح غطائي المشدود قليلًا.

قرّبها القفّازُ من علبة الهدايا ثُم قفز الجميع في داخلها. صاحت المبراة بسعادة وقالت:

-رُب ضارّة نافعة لقد صار الصندوق أكثر اتساعًا بعد أن تقلصت الكرة.

لكزتها النظارة بذراعها وقالت لها:

-أرجوك لا تجرحي مشاعرها الآن، ألا ترين الثّقب الذي أفسد أناقتها؟

صاح الحذاء بحزم وقال:

-كفوا عن الثرثرة وودّعوا أختكم الصنّارة.

رفع الجميع رؤوسهم تجاه الصنّارة التي كانت تبكي، وودعوها بعيون دامعة.

ثمّ قامت هي برفع غطاء العلبة وأغلقته عليهم بهدوء.

حملت الصنارة الشريط اللاصق وطلبت منه أن يلصق الغطاء بالعلبة حتى لا ينفلت من فوقها و يسقط فيضيع رفاقها في الطريق.

لف الشريط نفسه عدة مرات حول العلبة حتى انتهى تماما، ونظر

إليها بحزن وقال لها:-يبدو أنني سأرحل معهم سامحيني فهذه آخر قطعة مني.

ودّعته الصنّارة بألم وقالت له:

-لا عليك يا صديقي المهم أن يكون»حمزة» بخير.

كان الجميع بداخل العلبة ينصتون إليها وهي تضع ورقة النقود فوق الغطاء ثم تضع عليها حجرًا صغيرًا حتى لا تطير ثم تدفعها لتقربها من باب البيت بعيدًا عن النافذة ليراها ساعي البريد.

وقفت الصنارة تتأملهم من بعيد وهم لا يسمعون نحيبها و بكاءها.

ومَرّ وقت طويل ولم يظهر ساعي البريد!

كادت الصنّارة أن تجرّ علبة الهدايا مرّة أخرى إلى داخل البيت.

ولكن فجأة! ظهر ساعي البريد أخيرًا، ورأى العلبة وأمسك النقود، وحملها بعد أن قرأ الخطاب الموجه له ليقوم بإيصال الطرد في المكان المطلوب حيث «حمزة».

انصرف ساعي البريد، وبقيت الصنارة وحيدة في بيت كبير قديم وفارقها الأحبة.

بعد يومين دق جرس الباب في بيت أنيق بالإسكندرية.

سمع ساعي البريد خطوات تقترب، ثم فتح الباب شابٌ وسيمٌ طويل القامة، ذراعه قويّ، ويبدو من هيئته أنه يمارس الرياضة.

رحّب الشاب بساعي البريد وتعجب عندما رأى العلبة بين يديه!

وقَّع على الأوراق باستلام الطرد، وحمل العلبة إلى غرفة أخرى بعد أن أغلق الباب، واقترب من جدّته التي سألته بصوت مرتعش نظرًا لكِبر سنّها:

-من يا «حمزة»؟ وما هذا؟

أجابها وهو ينزع الشريط اللاصق ليفتح العلبة:

-ساعي البريد أتانا بطرد يا جدتي. تلك العلبة كانت لي ولا أدري من أرسلها. كنت أحتفظ بها تحت فراشي في بيتنا القديم، ولم أتمكن من العودة لانشغالي في دراسة الطب.

قالت جدته بتأثر:

- يا حبيبي افتحها لنرَى ما بداخلها.

فتح «حمزة» العلبة ومد يده ثمّ صاح بفرح:

-إنها أدواتي وملابسي! هذا قميص العيد الذي كنت أرتديه عندما ذهبت مع أبي لنصلي بالمسجد وكنا نكبّرو نهلل «اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر..لا إله إلا اللّه.. اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر..وللّه الحمد».

وهذا حذائي الذي كنت ألعب به الكرة، وهذا بنطال المدرسة.

وتلك قبّعتي الحبيبة لقد صارت رأسي كبيرة جدًا عليها الآن.

وسجادة الصلاة ومسبحتي وقلمي والمبراة وسيّارتي.

وكرتي..يا إلهي! إنها مثقوبة، لكنها ما زالت جميلة وقوية، لا بد أن أصلحها.

كم أنا سعيد، كنت أحبّ تلك الأشياء جدًا ولا أدري من أرسلها!

قالت جدته وهي ترفع حاجبيها:

-أظنّه خالك، فهو يملك نسخة من مفتاح البيت.

قال «حمزة»:

-يا الله! لقد أعادت إليّ الكثير من المشاعرالجميلة والذكريات الحلوة.

قالت جدته بهدوء:

-احتفظ بها لابنك يا حمزة، فبعد سنوات ستتزوج بعد أن تنهي دراسة الطب إن شاء الله، وسيزوجك والدك فور أن تنتهي من دراستك، ولهذا عرض البيت القديم للبيع.

ضحك «حمزة» وأجابها بعد أن شرد قليلًا:

-لا يا جدتي، سأهديها لصديقي «معاذ».

-ومن معاذ؟

- هذا الطفل الطيّب الذي رأيتُه في القرية.

-أيّ قرية!

-تلك التي كنتِ تصحبينني إليها دائما وأنا صغير، نحمل للأطفال الفقراء هناك الحلوى والألعاب ونشاركهم الطعام، ونهديهم الملابس الجديدة في الأعياد..أتذكرين؟

لأعرف أن هناك من يعاني ويرق قلبي،

وحتى أشكر الله على نعمه بعد أن كنت كثير الطلباتِ وساخطًا على كلّ شيء.

ما زلت أزور القرية يا جدتي حتى الآن، لقد أنشأ أحد الرجال الفضلاء مركزًا لإيواء الفقراء هناك، أذهب للقاء الأطفال، أحفّظُهُم القرآن وأعلمهم الكتابة والقراءة، ونرسم أحيانًا ونلوّن، ونلعب كثيرًا، وأحملهم وأركض بهم في الحديقة الخاصّة بالمركز فيضحكون ويسعدون.

ابتسمت الجدّة وقالت:

-أنت رائعٌ يا «حمزة» تركتَ الإقامة في بيت والديك الجديد رغم تعلّقك الشديد بأخويك، وصمّمت أن تقيم معي لترعاني، كم أنت بارٌ وحنون، أدعو الله أن تكون أنت وشقيقاك «سلمان» و«بلال» من الرحماء الذين يرحمون الناس فيرحمهم الله.

قبّل «حمزة» رأسها وقال:

-تعرفين جدتي؟ كل أسبوع ننظم للأطفال هناك حفلًا كبيرًا أنا وشقيقاي وزملائي، صرتُ أحبهم كثيرًا. لي صديقٌ هناك، طفلٌ صغير محببٌ لقلبي،

سيفرحُ بالنظّارة بالذّات وسيرتديها دائمًا فهي تناسبه.

سألته الجدّة بفضول:

-ولماذا النظارة بالذات؟

أجابها بتأثر:

-لأنه فقد بصره وهو رضيع بسبب مرضه، لكن الله عوّضه بذكاء شديد فقد ختم القرآن الكريم حفظًا كاملًا وهو في الخامسة من عمره، إنّه طفل رائع ومميز، أعجبنتي ابتسامته كثيرًا يا جدّتي، ففقده لبصره لا يضايقه ويتعامل مع الأمر بطريقة رائعة.

قالت الجدّة بصوتها الحاني:

- أما تعلم يا «حمزة» أن من ابتلي في عينيه و صبر بشّره النبي صلى الله عليه وسلّم بالجنة؟ ألا تذكر الحديث الشريف؟

قال «حمزة»:

- بلى يا جدتي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول:

«إن الله قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضتُه منهما الجنة» (يقصد عينيه)

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

تذكّر«حمزة» شيئًا ما، فلمعت عيناه وأشرق وجهه بابتسامة واسعة وقال:

-كانت لديّ صنارة رائعة! أين هي؟

لابد أنها ما زالت فى بيتنا القديم، كم كنت أحبّه هذا البيت، سأسافر وأحضرها إن شاء الله، وربما أعود لممارسة هواية الصيد يومًا ما.

في تلك اللحظة كانت جميع الأدوات سعيدة برؤية «حمزة» مرّة أخرى. تأمّلوا وجهه الطيّب، وسعدوا بلمساته الحانية وهو يقلّب

كلًّا منهم بين يديه، ويحكي لجدّته عن مغامراته معهم، وعن جدول الصلاة والقرآن الذي كان يكتبه بقلمه، وعن مبارياته مع شقيقيه «سلمان» و«بلال»، ورفاقه بكرته الحبيبة.

وفي العيد وهو يرتدي قميصه الأزرق الرائع والقبّعة الأنيقة، واليوم الذي ارتدى فيه النظّارة الشمسية لأوّل مرّة، وكيف كان يفرح عندما يرتدي الحذاء لأنه يشعره أنه كالكبار!

وأما لعبه بالسيّارة فقد أضحك الجدّة كثيرًا، حتى العلبة كان لها قصّة معه.

كما أخبرها عن رائحة المسك على سجادة الصلاة، وكيف كان يحصي ألف تسبيحة على مسبحته في رمضان.

وعن هذا اليوم الذي عاد فيه إلى البيت وهو يبكي لأن بنطاله الحبيب قد اتسخ من وحل الشارع فى يوم ممطر وظنّ أنه قد فسد وانتهى أمره، ثم فاجأته به أمه في الصباح وقد عاد نظيفًا وزاهيًا من جديد.

وها هو الطفل الصغير الباكي على بنطاله قد كبر وكبرت معه أحلامه وحسنت أخلاقه فصار يبرّ جدّته ويحنّ على المحتاج ويرحم الضعيف ويتصدق على المسكين ويساعد المنكوبين.

لقد صار شابًا يافعًا ووسيمًا، ويبدو أن أبويه قد أحسنا تربيته، وها هو يفعل الخير ويساعد الناس.

وازدادت سعادتهم من أجل صديقتهم الصنّارة التي لم ينسها «حمزة»، وتذكَّر كيف كان يقفز فرحًا عندما يصطاد بها سمكة صغيرة أثناء رحلات الصيد مع والده حيث يتعلّم الصبر والجلوس بهدوء حتى لا تفرّ الأسماك.

كم هو رقيق القلب ولم تغيّره الأيّام.

وبدأوا يهنئون بعضهم البعض بعملهم الجديد الرائع، في مكانٍ جديد مع طفل جديد، قرر «حمزة» أن يسعده بإهدائه أدواته كلّها.

حيث سيدخلون عليه السرور و يفرح الجميع.

..تمت..